يونس شعبان الفنادي

محمد يوسف اللموشي

# تحْتَ المِجْهَر

## كتاباتٌ حول نصوصٍ شعرية ليبية

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

# تَحْتَ المِجْهَر

## كتاباتٌ حول نصوصٍ شعريةٍ ليبيةٍ

يونس شعبان الفنادي

# تَحْتَ المِجْهَرِ

## كتاباتٌ حول نصوصٍ شعريةٍ ليبيةٍ

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

يونس شعبان الفنادي

تحت المجهر - كتابات حول نصوص شعرية ليبية

---

الطبعة الأولى : 2018 م

رقم الإيداع المحلي: 2018/476

رقم الإيداع الدولي: 7-983-25-9789959



دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

# 1 الشاعر الراحل عبدالحميد البكوش

# ليبيا والوطن

## في أشعار عبدالحميد البكوش[1](*)

يشكل الوطن مكوناً أساسياً في علاقة المحامي والأديب الشاعر عبدالحميد مختار البكوش، رئيس وزراء ليبيا الأسبق أثناء المملكة الليبية، بالنص الأدبي والقصيدة الشعرية. ومن خلال قراءة ومعانقة سريعة لنصوصه القليلة التي توفرت حالياً لدينا، نكتشف أن ارتباط هذا الشاعر الدبلوماسي ببلاده ليبيا لا يقتصر على برنامج أو حركية العمل السياسي الذي كان يمارسه بحكم موقعه في صناعة القرار الرسمي للدولة، بل تغوص علاقته بالوطن بعيداً في أعماق وجدانه ومشاعره العاطفية لتتفاعل وتبلور ذاك الشعور في رسم شخصية مميزة لتلك العلاقة الهوية التي عبر عنها في مقاله المشهور «الشخصية الوطنية» عارضاً فيه مفهومه لطبيعة الانتماء والارتباط بالوطن حيث يقول (... إن الانتماء إلى الوطن هو أبرز وأهم الانتماءات سواء كانت أكثر ضيقا أو أكثر اتساعاً، فالعالم منقسم اليوم إلى أوطان ترتكز كلها عل علاقة الفرد بالوطن الدولة أكثر من ارتكازها على أى من علاقات الانتماء الأخرى الأضيق والأوسع، ومن هنا فإن الشخصية الوطنية تعني نسيج إحساسات الفرد بأنه مرتبط بأرض معينة وشعب معين ارتباط أخذ وعطاء، وتظل هذه الإحساسات هي المحور المحرك لنشاط وطموحات المواطن. وإذا كان تحقيق نهضة حضارية في أي وطن يستلزم خلق مواطنين قادرين على التقدم، فإن حمل أؤلئك المواطنين على الفعل

1(*) صحيفة ميادين، العدد رقم 33، السنة الأولى، بتاريخ 27 ديسمبر 2011، ص 18-19

يستوجب إلى جانب أشياء أخرى شحذ همة كل مواطن وكل مواطنة وذلك بإيقاظ شعور الانتماء الوطني لدى كل منهما ...).

وانطلاقاً من هذا المفهوم فإننا نجد الوطن متمثلاً وبارزاً بحضورٍ ثابتٍ وقويٍّ في نصوص عبدالحميد البكوش الشعرية بصورة مباشرة أو إيحائية من خلال بعض الرموز أو العبارات أو الأحداث أو المواقف أو الصور التعبيرية التي يطلقها بروح حالمة ومشتاقة لنسائم الوطن وأنفاس ووجوه الأهل والأصدقاء والأحبة الذين افتقدهم طوال سنوات غربته التي بدأت سنة 1977 وحتى وفاته بتاريخ 2 مايو 2007 بعاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة.

ورغم أن عبدالحميد البكوش قد أصدر عدة مجموعات شعرية إلا أننا وللأسف لا نجد لها تسجيلاً أو ظهوراً وتضميناً في الدراسات البحثية والمعاجم التوثيقية التي صدرت في بلادنا عن الشعر الليبي الحديث خلال العقود الأربعة الماضية، وهو عمل يبتعد كثيراً عن مصداقية المنهج البحثي ونزاهته وأمانته في إثبات حق من حقوق الأديب الشاعر، أو الكاتب المؤلف، بكل حيادية أياً كان التيار السياسي الذي ينتمي إليه أو المذهب الفكري الذي يعتنقه، لأن التوثيق هو تأريخ للوطن بأسره وليس لنظام حكم معين فقط. ولا أحسب أن هذا الإقصاء أو الإسقاط قد حصل ممن قاموا به سهواً أو جهلاً بإسهامات عبدالحميد البكوش الشعرية في مسيرة الشعر الليبي، ولكني أظنه تجاهلاً وإسقاطاً متعمداً نتيجة للضغوطات والمراقبة الشديدة التي كان نظام الحقبة الماضية يمارسها في كل أصناف الحياة الأدبية الإبداعية والتوثيقية وغيرها، وهذه تضاف إلى جرائمه الأخرى في طمس هوية وتاريخ ليبيا بكل مكوناته.

فكل الكتابات التأريخية التي تناولت دراسة الشعر الليبي الحديث والتوثيق له أثناء الأربعين سنة الماضية لم تشر إلى عبدالحميد البكوش كصوت شعري ضمن الأصوات الليبية الأخرى التي حلقت في فضاءات الشعر الرحبة، بل ظل منهج التوثيق للشعر الليبي متأثراً بدور عبدالحميد البكوش السياسي ومنصبه الحكومي الرسمي السابق وتعامل معه ظلماً وفقاً لذلك، وبالتالي أسقطته المعاجم المختلفة من صفحاتها، وتجاوزت الدراسات الأدبية دواوينه الشعرية المتعددة. ولعل أبرز هذه الإصدارات التي طمست شعر عبدالحميد البكوش هي كتاب (معجم الشعراء الليبيين) في جزءه الأول لمؤلفه عبدالله سالم مليطان، الصادر عن دار مداد للطباعة والنشر سنة 2001، وكتاب (الشعر الليبي في القرن العشرين) الصادر عن دار الكتاب الجديد المتحدة سنة 2002، من إعداد الدكتور عبدالحميد الهرامة والأستاذ عمار جحيدر، وكتاب (الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، بداياتها، اتجاهاتها، قضاياها، أشكالها، أعلامها) لمؤلفه الدكتور قريرة زرقون نصر، الصادر عن دار الكتاب الجديد المتحدة سنة 2004، وكتاب (الشعر العربي المعاصر في ليبيا) الصادر عن مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري سنة 2008 والذي قدم له الدكتور نورالدين صمود.

وعلى العكس من ذلك نجد أن كتاب (معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث) لمؤلفه الأستاذ الدكتور الصيد أبوديب الصادر عن مجلس الثقافة العام في طبعته الأولى سنة 2006 قد تضمن سرداً لستة من دواوين الشاعر عبدالحميد البكوش، جاءت متسلسلة على النحو التالي (لا وقت للحب) و(مطر السكر) و(العودة) و(قصائد من ليبيا) و(الرحيل) و(أمل بلا غروب) رغم أنه لم يتحرى الدقة في تحديد

تاريخ إصدار بعض تلك الدواوين، حيث ذكر على سبيل المثال بأن الطبعة الأولى لمجموعة (قصائد من ليبيا) قد صدرت سنة 1990 بينما النسخة التي بين يدي الآن يرجع تاريخ إصدارها إلى سنة 1978.

ولا شك بأن هذا التأريخ والتوثيق المشوه يعد قصوراً خطيراً يطرح العديد من علامات الاستفهام حول أهمية وجدوى ما تم إعداده من دراسات وأبحاث عن مسيرة الشعر الليبي طالما أن هناك العديد من الأسماء الشعرية على شاكلة المرحوم عبدالحميد البكوش قد تم إقصائها وطمس نتاجها الشعري والأدبي وإغفال الكثير من النصوص الشعرية التي أبدعتها؟ كما أن هذا القياس بالاستفهام ينطبق على العديد من المجالات الأخرى غير الأدبية والثقافية.

**قصائد من ليبيا**

يقع ديوان (قصائد من ليبيا) للشاعر عبدالحميد البكوش في مائة وثمانية عشرة صفحة من الحجم المتوسط، وهو صادر سنة 1978 عن مطابع الزهراء للإعلام العربي بمصر، أي بعد سنة واحدة من مغادرته ليبيا، ويحتوي على واحدة وعشرين قصيدة جاءت متسلسلة كالتالي: (لا حب بعد اليوم، حنطية الجبين، سمعتهم ينادون ليبيا، البساطة، اليأس، الدمية، بلا عنوان، الزحف إلى المقبرة، العوم في الأمطار، الرسالة قبل الأخيرة إلى ليبيا، ساعة الزينة، المخدة، بحيرات العسل، إلى المتنبي في ذكراه، الظمأ، ذكريات فارسية، أم السعد، اعترافات ما قبل النوم، محنة السعادة، حبيبتي أصابتها عين، من سنوات الغربة). وقد لبست كل النصوص ثوب الحداثة وعانقت الشعر الحر، فظهرت بعيدة عن النظم الكلاسيكي وبحور الخليل بن أحمد الفراهيدي، بل متراصة في سطور النظم الشعري العمودي الحديث، وقد تفاوتت أنفاس مبدعها فكانت

(ذكريات فارسية) أطولها وأكثر النصوص سطوراً بينما (الرسالة قبل الأخيرة إلى ليبيا) أقصرها وأقلها.

وعند تصفح الديوان تقابل القاريء صورة فوتوغرافية للشاعر عبدالحميد البكوش ثم إهداءه الذي خص به وطنه ليبيا ويقول فيه (إلى تلك الفتاة السمراء الرائعة، التي كنتُ أراقبها كل مساء وهي تحمل على كتفها جرة ماء تمسكها بيد، وتمسك باليد الأخرى طرف ردائها القطني الموشى بخطوط صفر. لكم أحببتُ تلك الإبتسامة التي تتفتح على شفتيها، والتي كانت هي السعادة بعينها والتي ذابت عندما تلوث بئر القرية بالبترول. إلى تلك الفتاة التي سأحبها إلى الأبد. إلى «ليبيا». أهدي هذه الكلمات).

إثر ذلك يطالعنا تقديم قصير بعنوان (هذا الديوان) بقلم الأستاذ ثروت أباظة لا يمثل أية إضافة قيمة لنصوص الشاعر ولا يمنح القاريء مفاتيح تلك النصوص، حيث ركز على مساهمة الكاتب السياسي في المشهد الثقافي بوجه عام، ولم يتناول نصوص الشاعر إلا في آخر التقديم حين أورد أبياتاً من نصين للشاعر هما (لا حب بعد اليوم) و(بحيرات العسل) في إشارة إلى أن أبيات مثل هاذين النصين لا يمكنه رفضها.

وهنا إذ أستعرض بعض نصوص الديوان، فإنني لست قاصداً تقديم قراءة تحليلية تتناول اللغة الشعرية والخيال والرمز والارتباط الزماني والمكاني وأثر كل ذلك في نصوص الشاعر عبدالحميد البكوش ولا استنطاق عتبات أو مفاتيح تلك النصوص لفهمها بشكل متعمق، ولكنني اخترت أن أقدم نصين قصيرين هما (سمعتهم ينادون ليبيا) و(الرسالة قبل الأخيرة إلى ليبيا) باعتبار أن الشاعر قد أورد فيهما اسم (ليبيا) صراحة على خلاف غيرهما من القصائد الأخرى في هذا الديوان أو

غيره، التي عبرت بإيحاءاتها ورموزها عن علاقته بالوطن. كما أنني أردت أن تسهم هذه القراءة المتواضعة في التعريف بالراحل عبدالحميد البكوش شاعراً، وتقديم نصوصه الشعرية لهذا الجيل الذي تم تغييبه عن تاريخ بلاده ورموزها وأعلامها وشخصياتها الوطنية، تاركاً الباب مفتوحاً لمن يستكمل هذه القراءة البسيطة بعمل أوسع وأشمل وأدق.

## قصيدة (سمعتهم ينادون ليبيا)

هي القصيدة الثالثة في ترتيب نصوص ديوان الشاعر وقد جاءت في ثلاثة وثلاثين سطراً، والتي يبدو من مستهلها أن اسم «ليبيا» قد وقع في مسمع الشاعر فحرك فيه مشاعر الحنين والشوق لوطنه، وحلق به في عوالم شتى رقصت فيها أعماقه نشوى زهواً وافتخاراً ببلاده ليبيا، واصفاً رنين اسمها بأنه لحن من الفردوس، وهي أعلى مراتب الجنة، يتردد صداه المقدسي في أرجاء الكون، ويبعث حلاوة هي أشهى من العسل على شفاه الناطقين به. يقول الشاعر في قصيدته:

**(لو كان إسما ما سمعتْ**

**لما ثملتُ مجنحاً**

**ورقصتُ نشواناً على قممِ السحابْ**

**ولما توالت لذتان على دمي**

**مسرى الحروف الحالمات وضوعها**

**وحلاوة النغم الأرق من الضباب**

**لو كان اسماً**

**ما تسلل في العروق وجيبُه**

سلس المقاطع لا مسيل ولا انسكاب
يغزو دفين لواعجي
ويضيء في قلبي قناديل الشباب
لا ...
ليس اسماً ما تذوّق مسمعي
لكنه حلم من البلور قطّره الهوى
من دمعة الأشواق
في مقل السراب
وحلمته بجوارحي، وملأت من أطيافه عيني
لا لوماً خشيتُ ولا حساب
لا لم يكن اسماً سمعتُ وإنما
لحنٌ من الفردوس
لم يعزف على وترٍ ولا هو في كتابْ
لحنٌ على البلور دوّنه الندى
وتلا مقاطعه على ناي من الكافور
قدسّي الصدى
ملكٌ سعيد لا يتوب ولا يثابُ
ولعلني
لو لم تردّده الشفاه الظامئات لهمسة
لحسبته بحراً من العسل الشهيِّ
مذهّب الأمواج شمعي العبابْ
فلقد شعرتُ وقد أضاء بخافقي

أني الرّشيد

وذاك اسم حبيبتي

فغرقتُ في العسل المذابْ)

## قصيدة (الرسالة قبل الأخيرة إلى ليبيا)

هي أقصر نصوص الديوان حيث جاءت في تسعة عشر سطراً، صفت عمودياً وصاغها الشاعر على هيئة رسالة يبث فيها أشواقه وحنينه للقاء حبيبته «ليبيا»، والتي يبرز فيها بكل وضوح أثر مجاهل الغربة على مبدع النص، وتمنياته بقرب نهايتها والعودة للعيش في أحضان الوطن الدافئة. عبر الشاعر عن ذلك بقوله:

(أكتبُ بالعروق فوق أقحوانة الورقْ

أقتلعُ الحروف من فؤادي الحزين

أصفُّها براحتي

أغسلها بدمعتي

وبالأنامل التي ترجف مثل طائر حزين

أزرعها بالحرف فوق وجنة الورق

جذور ما كتبتُ يا حبيبتي

جدلتها من حدق النور وبرعم الزمان

ثم غرستها بالجذور في رسالتي

سقيتها بالحب والأمان

لعلّها تنقل فوق جاحها إنسانْ

يعبد في عينيكِ خفقة الحنانْ

**منذ سرحتُ في عينيك يا حبيبتي صرت أنا بلا أنحاءْ**

**حومتُ مليوناً من السنين ما وصلتُ**

**مرفأ السماءْ**

**لذا كتبتُ من مجاهلي إليك هذه الرسالة**

**لعلني، أنعم في نهاية المطاف**

**عبرها**

**بروعة اللقاء).**

وبالإضافة إلى هاذين النصين من ديوانه (**قصائد من ليبيا**) صور الشاعر عبدالحميد البكوش في قصيدته (**اعترافات ما قبل النوم**) حالة وطنه ليبيا وأجواءها المتعددة دون أن يصرح باسم بلاده علنا قائلاً:

**(وطني يعيش معالم الأفراح والأحزان**

**يزخر بالفناء وبالخلود**

**يحيا، يموت بلا حدود**

**ويعيش عبر النار ملحمة النعيم**

**فيما تكاد سنابك الأيام**

**تعصف بالأديم**

**فيما يكاد العام تلو العام**

**يفتك بالجديد والقديم)**

أما قصيدته (**إلى المتنبي في ذكراه**) فقد خاطب فيها الراحل عبدالحميد البكوش شاعر العرب أبا الطيب المتنبي في مناجاة حزينة، عبر فيها عن أمنياته وتساؤلاته حول ما يعتريه من قلق وشكوك في العودة من غربته للعيش في ربوع وطنه ليبيا مجدداً:

**(يا أبا الطيب**

**ها قد رسوت بمرفاك**

**بعدما صار قاربي طريد المرافي**

**أتراني أعيش تلك الليالي**

**وأشهد الحب والهوى ورقصة الخيل في احتفال الزفاف**

**أتراني أراه زورق الشعر**

**يختال في اليم تحدوه خضر الضفاف**

**أتراني أحس ذاك القصيد**

**ينساب كالنور من منابع الروح للقلب شافي**

**أم تراها الأماني قضت**

**وهي ريّانة الثغر جذلى**

**وخلّفت للزمان يوماً منفّراً كالحَ الوجهِ جافي)**

وفي قصيدته (**أم السعد**) اختار الشاعر عبدالحميد البكوش أن يطلق هذه الصفة التفاؤلية الجميلة على أمه «ليبيا»، وهي تصوير لمبعث ومصدر الأوقات والأشياء والمعاني السعيدة كافة، حين اختار أن يخاطب ابنه في هذا النص ليقص عليه موقفه من الغربة وحالة الضيق والتذمر التي يعانيها، والأحزان التي يكابدها، مؤكداً له أنه لم يهاجر عن وطنه أو يغادره أبداً، في إشارة إلى أن الوطن لازال في أعماقه يسيطر على وجدانه ويحرك عقله. وفي نهاية هذا النص برزت روح الشاعر مفعمة بالأمل في الخلاص ورفرفت بأجنحة مطرزة بالأمنيات العذبة، لتؤكد حلمه المتجدد بحلول العيد وانفراج الكرب ولو طال الأمد.

**(أو تحسب يا ولدي أني هاجرت**

**أتظن بأني ضقت بأحزاني**

وملّت هواجس جيراني

وملامح صبية جيراني

لا، أبداً يا ولدي

لا ما هاجرت

فخيولي لازالت تصهل عن بعد

وجذوري عطشى يعصرها الوجد

وسيقبل عيدُ يا ولدي

ما طال العهد

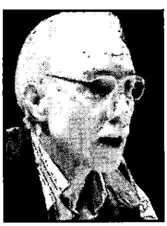
وأجيء بلادي مشتاقاً في يوم الوعد

سأجيئك يوماً يا أمي

يا ذات العينين السوداوين

ويا أم السعد)

هذه بعض أغاني الشاعر والسياسي الراحل عبدالحميد البكوش الوطنية التي صاغها حباً وشوقاً إلى وطنه ليبيا الحبيبة، حين ترنم بها في غربته التي فرضت عليه، منذ خروجه من السجن سنة 1977 وظل يكابد عذاباتها حتى وفاته. قصائد هذا الشاعر زاخرة باللغة الثرية الرقيقة، والصور البلاغية الجميلة، والتساؤلات المؤلمة المنبعثة من أنفاس شجية، أسهمت عن بعد في المشهد الشعري الليبي، إلا أنها للأسف لم تنل حقها في معانقة القاري على أرض ليبيا الحبيبة، ولا في قراءات ودراسات نقدية متعمقة، فمن يا ترى ينصف عبدالحميد البكوش شاعراً ويبعث الحياة مجدداً في أشعاره ونصوصه الرقيقة؟



# 2

## الشاعر محمد الفقيه صالح

# هل للظلِّ ... قصائد ؟

يرتبط الظلُّ عند الإنسـان بالضوء والمخيلة البصرية وصور مقارنتها مع الماديات الأصلية بشتى أنواعها. ولعل أبرز مقارنات الحِكَم المتعلقة بالظلّ هو المثل الشائع بصيغة السؤال والاستفهام الإنكاري (هل يستقيمُ الظلُ والعودُ أعوج؟). ولكن هل للظل قصائد؟ وهل تعبّر عن الذات الشاعرة وتعكس رؤاها أم تتجاوزها إلى مدايات متباينة أخرى؟ وما هي خصائصها ومواصفاتها؟

هذه بعض الأسئلة التي تسارعت إلى ذهني وأنا أقلب المجموعة الشعرية الرائعة (قصائد الظل)[1] الصادرة عن دار الرواد للشاعر الأنيق والدبلوماسي الأستاذ محمد الفقيه صالح، والتي أهدانيها مؤخراً مع كتاب آخر نشره متضمناً عدداً من مقالاته الأدبية النقدية والفكرية المتنوعة.

الأسـتـاذ محمد الفقيه صالح صـوتٌ شعريٌّ مميز يمثل نضج قصيدة التفعيلة في الحركة الشعرية الليبية. تنتمي قصيدته بامتياز إلى عالمها الابداعي مكتظة بالعذوبة والأسئلة والإيحاءات التي تتهاطل من مفردات وصور اللغة الرقيقة المتراقصة بتعبيرات تفيض صدقاً وعشقاً لقيم الخير والمحبة وتنشد مستقبلاً يستوطنها ويحتفي بها وبالذات الإنسانية.

والشاعر محمد الفقيه صالح هو أحد أبناء ليبيا النجباء. برز نبوغه العلمي والأدبي منذ مشواره الدراسي المبكر فنال بعثة حكومية

1- محمد الفقيه صالح، قصائد الظل، دار الرواد للنشر، طرابلس - ليبيا، 2016

لمواصلة دراسته في مجال العلوم السياسية وتخرج من جامعة القاهرة عام 1975 . وعلى إثر ذلك عاد موشحاً بالتفوق الأكاديمي، وحاملاً في شرايين نبضه وثنايا فكره طموحاتٍ وأحلاماً بلون قوس قزح للمساهمة في برامج التنمية المجتمعية والارتقاء والنهوض بالوطن في مجاله، فأعتقل وأودع السجن مع آخرين عام 1978 وحكم عليه بالإعدام خفف إلى المؤبد، ليخرج بعد عشرة سنوات تبخرت من عمره بين قضبان السجن الحديدية ووحشته وعذاباته القاسية.

وبعد خروجه استعاد حرية جسده وفكره بشكل نسبي، تاركاً ماضيه خلفه دون أن ينساه أو يغادره، وأفرد جناحيه للحياة مجدداً، وابتسم للمستقبل فزرعه أمنياتٍ عديدة، ومضى يواصل تطريز نصه الشعري الحداثوي الجميل ليؤكد أنه مثل عود الطيب اليافع .. لا يزيده الاحتراق إلاّ شذى وعبيراً فوّاحاً. فمن يطالع مقدمته لكتاب صديقه البروفيسور علي عبداللطيف احميدة (ليبيا التي لا نعرفها)[1]على صعيد إبداعاته النثرية سيبهره عمق القراءة الناضجة وقيمة الإضافة المعرفية التي شكلتها تلك المقدمة لموضوع الكتاب التاريخي والتوثيقي الرائع. ومن يتأمل مقالته (سجنيات أو سوائح الكتابة في المابعد والمابين) التي تضمنها كتاب رفيقه في السجن القاص عمر أبوالقاسم الككلي (سجنيات)[2]ستتبين له قدرته وبراعته في تحليل تلك الالتقاطات التي أجاد القاص الرائع الككلي استدعاءها من رحم الذاكرة السجنية المقيتة ونفض الغبار عنها ونشرها بكل عذوبة فأحالها إلى حكايات جميلة مبهرة لذكريات مؤلمة قاتمة.

1- د. علي عبداللطيف احميدة، ليبيا التي لا نعرفها: دراسات منهجية في التاريخ والثقافة والمجتمع الأهلي، منشورات هيئة دعم وتشجيع الصحافة، طرابلس- ليبيا، 2014، ص 9-15

2 - عمر أبوالقاسم الككلي، سجنيات، دار الفرجاني للنشر، طرابلس - ليبيا، 2012، ص ص 81-86

أما من يطالع مقدمته (عن الكتابة ونزيف الغربة) لإصدار صديقه ورفيقه ‌في السجن أيضاً القاص جمعة بوكليب (خطوط صغيرة ‌في دفتر الغياب)[1]فلابد أن يصفق طويلاً للكلمة الرشيقة التي طرزتها تلك المقدمة، والعبارة الأنيقة التي شخّصت الحالة الإبداعية لدى بوكليب وإمكانياته ‌في إجادة التعبير السردي بكل ما تحمله قصصه القصيرة من رصد مواقف تلقائية وجماليات حكائية.

أمـا حـول اسهاماته ‌في المشهد الشعري، فـإذا كانت القصيدة الحديثة ‌في ليبيا، التي ولدت ‌في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، قد أفرزت السؤال النقدي المثير للجدل الشعري: هل لدينا شعراء؟ ... الذي طرحه الأديب الراحل الدكتور خليفة التليسي مع أسئلة أخرى ‌في كتابه (رفيق شاعر الوطن)[2] ... ولازال ذاك السؤال منذ الخمسينيات وحتى اليوم هو المحرك الأساسي لمعظم الدراسات النقدية الشعرية ‌في ليبيا، فإن تحليل وتوصيف الشاعر محمد الفقيه صالح لمسيرة الحركة الشعرية ‌في ليبيا واعتبارها مجرد إسهاماتٍ منعزلةٍ بنصوصٍ شعريةٍ فرديةٍ وليست صوتاً جماعياً يجسد تيارات شعرية ذات أهداف مشتركة[3]، وإجمالاً دعوته إلى (.. إعادة تأصيل الحياة الثقافية الليبية وإعادة تقديمها بناء على خصوصيتها. لستُ ‌في حالة لوم، ولكن هي محاولة رصد وطرح لمشاغلنا وهموم تجربتنا الثقافية وكياننا ‌في الثقافة العربية ولن نسهم عربياً وعالمياً إلا بالإسهام الداخلي - ليبيا - الدائرة الأولى لهويتنا..)[4]وهذا بالتأكيد سيظل

---

1-جمعة بوكليب، خطوات صغيرة ‌في دفتر الغياب، سلسلة الهلال العربي، العدد 1، مايو 2013، القاهرة – مصر، ص ص 6-11

2-خليفة محمد التليسي، رفيق شاعر الوطن، المطبعة الحكومية، طرابلس - ليبيا، 1965

3-انظر مقالته: بانوراما الشعر الليبي الحديث، ‌في الثقافة الليبية المعاصرة: ملامح ومتابعات، دار الرواد للنشر، طرابلس- ليبيا، 2016، ص11-23

4- الفصول الأربعة، طرابلس، العدد 103، السنة الخامسة والعشرون، أبريل 2003، ص 181

محركاً مهماً بقدر أهمية سؤال الراحل الدكتور خليفة التليسي، وإن لم يتلفت إليه الدارسون باهتمام كبير في الوقت الحالي، إلا أنه يعكس قراءة عميقة للمنتوج الشعري خاصة والثقافي عامة في ليبيا بكل أغراضه ومساراته وتوجهاته الفكرية.

(2)

يُعدُ الظلُّ محركاً إبداعياً ملهماً للعديد من الشعراء والكتاب على مر العصور. ويضم المشهد الأدبي العالمي الكثير من القصائد والمقالات حول الظل. فها هو الكاتب الياباني «جونيشيرو تانيزاكي» المتوفي سنة 1965 م يصدر كتاباً بعنوان (مديح الظل)[1]، وعلى صعيد الشعر العربي سجل الشاعر السوري «محمد الماغوط» حضوره في هذا المشهد بقصيدته النقدية السياسية اللاذعة (حكومة الظل)[2](9) وكذلك الشاعر الفلسطيني الكبير «محمود درويش» برائعته الطويلة (مديح الظل العالي)[3] كما استهل نصه (**قصيدة الظل**) بالقول:

**(الظلُّ، لا ذَكرٌ ولا أنثى**

**رماديٌّ، ولو أشعلْتُ فيه النارَ...**

**يتبعُني، ويكبرُ ثُمَّ يصغرُ**

**كنت أمشي. كان يمشي**

**كنت أجلسُ. كان يجلسُ**

**كنت أركضُ. كان يركضُ)**

1 (8) مديح الظل، جونيشيرو تانيزاكي، ترجمة الحبيب السالمي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988

2 (9) محمد الماغوط، شرق عدن غرب الله، دار المدى، دمشق، سوريا، 2005

3 (10) محمود درويش، مديح الظل العالي .. قصيدة تسجيلية، دار العودة، بيروت – لبنان، 1983

واختتمها بقوله:

**(أقلِّد ما يُقلِّدني**

**لكي يقع الشبيهُ على الشبيه**

**فلا أراهُ، ولا يراني.)**

فيا ترى ما الجديد الذي تحمله (قصائد الظل) للشاعر محمد الفقيه صالح؟ وهل يمكن القول بأنه استوحى قصائد هذه المجموعة من فضاءات أو ذكريات (شارع الظل) الواصل بين حي «رأس حسن» وشارع «جامع الصقع» بمدينته طرابلس أم المدائن التي يعشقها حتى النخاع؟ وما هي الإضافات التي يمكن أن تسجلها (قصائد الظل) التي ولدت خلال مرحلة نضوج مسيرته الإبداعية الزاخرة بالإبداع؟

## (3)

ظهرت مجموعة (قصائد الظل) التي كتبها خلال الفترة من 2012 إلى 2015 بلا فهرس ولا مقدمة من مبدعها أو ناشرها، مشتملة على سبعٍ وعشرين نصاً، نُشر بعضها في مجلة «عراجين»[1] وتميزت كلها بالنفس الشعري القصير وعذوبة المفردة اللغوية ورنين أجراس الموسيقى الداخلية المنبعثة مدوية من بين سطورها وعباراتها الأنيقة التي امتزجت فيها الصورة الواقعية المستذكرة من رحم سنوات وشخصيات ومواقف ماضوية عديدة، مع ذاك الخيال المرهف اللذيذ المستلقي في أعماق النفس الإنسانية وأحلامها الملونة وتساؤلاتها المتفاوتة بين الانبساط والتألم إضافة إلى الأنفاس الصوفية الساكنة في مضامينه الروحانية.

وجاء استهلال مجموعة (قصائد الظل) بنصٍّ قصيرٍ غير معنون

1- مجلة عراجين، العدد 9، شهر فبراير 2016، القاهرة، ص ص 229-234

صاغه الشاعر كتوطئة أو مقدمة يستسمح فيها القراء بأن يتهيأ لاستقبالهم في رحاب بلاطه الشعري، منصباً نفسه ملكاً متوجاً يرتدي جبّة مملكته الشعرية كما رسمها خياله الخلاب:

**(دعُوني**

**أيُّهَا العَابرُونَ**

**قبلَ أنْ تدخلوا**

**أرتدي جبَّة المُلكِ**

**وأضعُ التاجَ على رأسِي**

**لأجلسَ**

**بما يلزمُ من مراسم**

**على عرشِ الظلِّ)**[1]

ويبدو من هذا الاستهلال أن الشاعر، لحظة ميلاد النصّ، كان يعيش فيوض تجلي وانبساط وارتياح غمرته بدفقات حلم جميل تقمّص فيه شخصية ملك القصيد، وهي حالة قصوى من الزهو والحلم والرغبة الذاتية، تجاوزت كثيراً صورة شاعر عربي بسيط يصدح بشعره لمستمعيه وسط سوق عكاظ. وحتى وإن لم يفصح الشاعر عن أسباب تلك الحالة الملهمة إلاّ أنها أثثت فضاءه الشعري، وهيأت المتلقي للإنصات والتحليق مع الشاعر في عوالم نصوصه الابداعية التي جاءت معظمها موثقة لصور حياتيه واجتماعية متنوعة تؤكدها وتبرزها إهداءاتُ بعضِها إلى أفراد أسرته وأصدقائه جمعة بوكليب وعلي عبداللطيف حميدة وحلمي سالم، أو استذكاراً لأحداث مؤثرة في مسيرة حياته مثل نصّه (كان يمكنُ ألاّ يكون) كاشفاً فيه عن حكم المحكمة الثورية التي أصدرته في حقه وبعض رفاقه سنة

1- قصائد الظل، ص 3

1986 برفع الحكم من السجن المؤبد إلى الإعدام.

كل هذا يجعل النصّ الشعري عند محمد الفقيه صالح إضافة إلى مضمونه الموضوعي وحرفيّته الفنية، ذو قيمة توثيقية وحضور دائم في الحياة اليومية من خلال غوصه في روتينها الذاتي المعاش، وتفاعله معها، واعتباره شهادة حقيقية على مجرياتها بكل ما تحمله من أحاسيس مفرحة وسعيدة، أو أحداث حزينة مؤلمة، تظل جميعها تحمل تأثيرات ودلالات متفاوتة في المسيرة اليومية لمبدع النص، وتعرضها على المتلقي بكل صدق وأمانة. وهو في هذا الجانب يمثل امتداداً لا يختلف كثيراً عن مجايليه وعلى رأسهم الشاعر الفذ الراحل الجيلاني طريبشان أحد أهم رواد الحداثة في ليبيا، الذي تناول مبكراً التعبير والكتابة عن ذاته الإنسانية ومعاناتها المعيشية وعذاباتها النفسية في زمن ضجيج الصوت القومي وهدير التطلع الوحدوي والذي يقول عنه محمد الفقيه صالح (.. أهمية الجيلاني طريبشان أنه أول من كتب عن الذات وحكى عن مشاكله وهمومه في تلك الفترة «السبعينيات». في إحدى قصائده يحكي عن مشاغله الخصوصية جداً: رجباني مقطوع من شجرة)[1](13). وفي نفس هذا السياق يعلن محمد الفقيه صالح بيانه الشعري:

(.. سأفتحُ للتوِّ نافذَتِي
أتوحّدُ بالظلِّ
أغدو أنا والحفيفْ
وزقزقةُ الطيرِ
والعشبُ
معزوفةً واحدة.)[2](14)

1 (13) الفصول الأربعة، العدد 103، السنة الخامسة والعشرون، أبريل 2003، ص 183
2 (14) قصائد الظل، ص 5

وتأكيداً لهذا البيان والإعلان الصريح جاءت قصيدته «ستون»[1](15) معبرة عن ذاته الإنسانية الشاعرة في سرد ملبّد بحزن عميق يلتفت إلى سنوات العمر فيحتضن عددها الستيني ويعزف بها هذه السيفمونية الوجدانية الرقيقة بكل التفاصيل اللذيذة المتجلية سواء في فضاءها المكاني وقدرته على تأثيثه، أو مضمون أنفاسها العميقة الغارقة في أنين الشجن المتوارى خلف مفردات النص أكثر مما ظهر منها على واجهته الزاخرة بالمشاهدات المادية وعناصرها الملموسة كحالة الجلوس والنافذة، أو الحسيّة كالآسى والتأمل، أو الطبيعية كالريح، والتي نسجت جميعها لوحة تشكيلية بارعة بألوانها ومعانيها الثرية. ولعل ما يثير الغرابة في هذا النص هو استخدام الشاعر مفردة «تشرين» للدلالة على شهر أكتوبر الخريفي العاشر الميلادي وهي من أسماء الشهور المتداولة في المشرق العربي وغير المستعملة في ليبيا:

**(جَالِسٌ**
**وسنِّيني معي**
**قُربَ نَافذِتي**
**نتأملُ ما مرَّ**
**أو ما تسربَ من مُمكِن**
**فأهُشُّ الأَسىَ**
**أو أُزِيحُ السِتارَ**
**فتبدو سماءٌ**
**وغيمٌ ينوسُ على مهلٍ**

1 (15) قصائد الظل، ص 4

**ثَمَّةَ الآنَ ريحٌ**
**تهزُّ الغصونَ**
**فيسقطُ من شجرِ العُمُرِ**
**يابسُ أيامِهِ**
**شمسُ تشرين تظهرُ**
**أو تختفِي**
**خلف ما يتصاعدُ من شَجَنٍ**
**والحديقةُ تبدو محايدةً**
**من خلال الزجاجِ)**

ولا يقتصر التعبير الشعري الذاتي عن مناجاة شخصه وشؤونه الخصوصية بل يمتد ليطال البوح بمشاعره وأحاسيسه تجاه أفراد أسرته وصحبه وأصدقائه كما في نصّه (**عهد**)[1] الذي يهديه لابنته رنا:

**(هَا أنذَا يا ابنتِي**
**مَا أزالُ مُقيماً على العَهدِ**
**أنْ تَشُبِّي أنتِ كمَا تشَائِين**
**وَأنْ أظلَّ أنا هكَذا**
**لاَ يشبُّ فيَّ سوَى الحنّينْ)**

وكذلك نصه (**هزيمة**)[2](17) الذي يهديه لابنته رؤى:

**(كيفَ آلهيتِني يا ابنَتِي**
**وجعلتِني أتنَاسى**
**أنَّ طفلَك الوليدَ في التوِّ**

1 (16) قصائد الظل، ص 6
2 (17) قصائد الظل، ص 7

كانَ سيَبُاغِتُنِي ذاتَ يَومٍ

وَيَزُجَّنِي

مُرْغَماً وَسَعيداً

فِي خانةِ الجُدُودْ ؟!)

ونصه (**حتّى وإنْ**)[1] الذي يهديه إلى إبنه مروان وأندادِه وهو يُخاطبه:

(نعمْ ..

يَا ابنَ حُلمي

أنتَ من ضربتَ بعصاكَ الأرضَ

فاهتزّتْ تحتَ أقدامِ الطغاةِ

وَرَبتْ عندَ التائقين

من أندادِي

إلى قضَاءِ قيلُولةِ العُمرِ

أو مسائِه

تحت ظِلالِ الحريةِ

حتى وإنْ كانت غيرَ وارفةْ)

وخلال أكثر من ثلاثين سنة لم يصدر الشاعر محمد الفقيه صالح سوى مجموعتين شعريتين هما (**خطوط داخلية في لوحة الطلوع**)[2] و(**حنوّ الضمة، سمّو الكسرة**)[3] ولذلك فهو يعد صاحب تجربة شعرية مقلة في إنتاجها، ولكنه يبرر أسباب ذلك بقوله (... أسباب عديدة منها: أن فهمي للشعر يجعلني متشدداً أو عسير الحساب مع نفسي،

1- قصائد الظل، ص 18

2 - محمد الفقيه صالح، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، 1999م

3 - محمد الفقيه صالح، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، ليبيا، 1376 و.ر (2008م)

أشرع في الكتابة ثم أغضُّ الطرف عنها، لأني أرى أنني أكرر نفسي كأنني أدور في نفس الدائرة، ولأنني أيضاً أعتقد اعتقاداً جازماً بأن الشعر كائن حيّ عصيّ، يمنحك القليل فقط إذا منحته كلَّ نفسِك، أما إذا منحته القليل فسيعطيك بظهره، أحياناً أناوش الكتابة الشعرية في مقطع أو صورة، وليس بتكريس وانصراف كامل، وأرى أنه ليس هناك من داعٍ على الإطلاق لأن يكرر الإنسان نفسه، أو يكرر الآخرين لمجرد أن يبقى على ساحة الكتابة..)[1] وهذا يتوافق تماماً مع ما أكده الشاعر الكبير مفتاح العماري في مدونته حين كتب عن الشاعر محمد الفقيه صالح (... ليس بمستغرب أن يكونَ مقلاً في إنتاجه الشعري لأنَّ له محدداتٍ ومفاهيم جمالية في التعامل مع الكلمات، إذ يقف دائماً على أرضٍ صلبة معبراً عن قيم رصينة ومواقف مشرفة).

## (4)

في روايته «صنعة الشعر»[2] يتحدث الكاتب الأسباني «خورخي لويس بورخيس» عن اكتشافه لغز الشعر، ويؤكد بأنه ذاك البديع الذي يمكن اختصاره في مفردتين فقط هما (عاطفة ومتعة). والتزاماً بهذا التوصيف الموجز والمكثف يواصل الشاعر محمد الفقيه صالح تطريز قصيدة التفعيلة بتقطيعاتها القصيرة المشابهة لتقسيمات هيكل الموشح الأندلسي مرتكزاً على حرارة ودفء وسمو مشاعره وعمق وغزارة عواطفه التي ترسمها بساطة العبارة الشعرية المنتقاة بكل عناية، وتمنحها دفقات روحه الشفافة الحالمة وهج النشوة والمتعة، إضافة إلى تواصله مع مشاهدات وأحداث المعاش وربطها مع الرؤى

1-الشط، العدد 1000، بتاريخ 2010/10/5، ص 45

2-خورخي لويس بورخيس، صنعة الشعر، ترجمة صالح علماني، دار المدى، دمشق، سوريا، 2006

وأحلام المستقبل المفعمة بالأمنيات العذبة البسيطة. تلك البساطة التي لم تغفل حضور وخزات ومطرقات الأسئلة المحفزة والمحركة للعقل بأن يتدبر، وللفكر أن يستفيق كما ظهرت في قصيدة (مرآة)[1]:

(هلْ تَصْدُقُ المرآةُ
أمْ تهذي؟
فترسمُ صورةً لي
غيرَ مَا أرجُو)

ويستمر الشاعر في طرح السؤال في نفس القصيدة بحثاً عن إجابات تطفيء لهيب توقه للمعرفة، وتنشد الخلاص من أسر همومه وقلاقله، جاعلاً التناص البلاغي جرساً حسياً بالغ التأثير في تشكيل جمالية الصورة الشعرية:

(كيفَ السبيلُ إلى الذي يبدو قريباً
موغلاً في البُعدِ؟)

والسؤال عند الشاعر محمد الفقيه صالح لا يتوقف، أو يقتصر على تموضع واحد وسط النص الشعري بل نجده يظهر في في مواضع كثيرة مختلفة، مثلما ورد صريحاً في مستهل قصيدته (غربة)[2]التي يهديها إلى صديقه الدكتور علي عبداللطيف احميدة لإيقاظ الذاكرة وبعث الحياة في المشترك بينهما من ذكريات ومواقف ماضوية:

(الذكرياتُ تميمةٌ
أم ملجأٌ للروحِ
من لفحِ التغرُبِ؟)

---

1 (23) قصائد الظل، ص 13
2 (24) قصائد الظل، ص 27

وتنهمر سيول الأسئلة في نفس القصيدة بخيارات إجاباتها القاطعة لتسافر بالنص بعيداً عبر خارطة أمكنة جغرافية عديدة داخل ليبيا وخارجها، وهو ما يعزز القول بأهمية أثر المكان في تخلّق النص الإبداعي وتأثر المبدع به أثناء صياغته:

**(ودّانٌ أمْ سبها ؟**
**طرابلسُ التي أحببتَ**
**أمْ يمنيّتان أثارتا نقعَ الهوى فينا**
**بقاهرةِ المُعز؟**
**أمْ التي في تونس**
**اقتحمتْ مدارَك**
**قبل أنْ يمضيّ بها قدرٌ عني؟)**

وليس السؤال المجرد فحسب من يتجلي بهياً في النص بل يجعله الشاعر مترابطاً مع الأمكنة التي فاضت بهجتها بالذكريات كما تزينت بها قصيدته (الشاعر في مدينته)[1] التي ضمنها أمكنة عديدة يعترف بعمق العلاقة المتشابكة معها ويعتبرها قطعة من كيانه المادي الجسدي، ووجدانه الفكري والحسي:

**(يوقظُ نبضَ الأماكنِ:**
**قوس المفتي - سوق الترك - برج الساعة - سوق المشير -**
**ميدان الشهداء - سيدي حمودة - مكتبة الأوقاف)**

ولا غرابة في أن تبرز خصوصية المكان الطرابلسي الجميل جليةً طاغيةً في نصِّ الشاعر محمد الفقيه صالح لأنه كما عبّر عنه (...المكانُ أكبر بكثير من كونه مكاناً، فهو يمثلُ الحضنَ الأساسي وهو بدايةُ علاقتنا الوجدانية

---

1- قصائد الظل، ص 46

بالموجودات والبشر وبنمط حياتهم. فيه تتشّكلُ ملامحُ شخصياتنا الأولى. طرابلس هي بالنسبة إليّ كل ذلك. عشتُ في طرابلس المدينة القديمة والتي هي أشبه ما تكون بمتحف حضاري تاريخي بسبب تعاقب الحضارات عليها بدءاً من الفينيقيين ثم الرومان ثم الحضارة العربية وبعدها حتى العثمانية، وكلها تركت آثاراً فيها. وقد نشأتُ إبناً لعائلة حرفيّة تعمل في طرق النحاس، وقد عملتُ مع والدي حين كان عمري عشر سنوات، لكنّ طرابلس حضرت بقوة مرعبة في روحي حين اقتلعتُ منها وكان هذا أشبه بالفطام ووجعه. لذا كان استحضار المكان كاستحضار الأمّ في لحظة يتمّ واقتلاع. السّجن هو هذا اليتم وهذا الفطام وقد حضرت طرابلس وكتبتُها في داخل السجن.)[1]

ولكن الإنشغال بعشق هذا المكان الخصوصي والجزئي لا يُنْسِي شاعرنا خارطة الوطن بأسره، ولا يختصره في إقليم واحد أو مدينة بعينها، بل نجد جوابه رداً حاسماً على شمولية المكان/ الوطن في فكره ومشاعره، وذلك عندما وجه إليه سؤال عن الوطن فرد عليهم رداً قاطعاً ببيت شعري استحضره من قصيدة عروضية كلاسيكية بعنوان (ليبيا موحدةٌ وتاجٌ واحدٌ) للشاعر الراحل أحمد قنابة:

**لِيبَيا طَرابلسُ وبرقةُ وأختُها صنوانٌ، قلبُ كليْهِمَا فَزَانُ**[2](27)

وفي الوقت الذي يوطن الشاعر محمد الفقيه صالح هذا البيت العروضي التقليدي في قصيدة التفعيلة الحداثوية فإنه يبعث رسالة واضحة مفادها تفتح روحه الشاعرة وفكره المستنير المؤمن بالميراث الشعري التقليدي ومناهجه الكلاسيكية، مع مواكبته للأشكال الحداثوية في الأجناس الابداعية كافة والتي من بينها النص الشعري

1- صحيفة العرب العالمية، لندن، العدد 10269، بتاريخ 2016/5/8، ص 13

2- شاعر من ليبيا، أحمد أحمد قنابة، دراسة وديوان، جمع وتحقيق الصيد محمد أبوديب، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، أكتوبر 1968

تأكيداً على استمرارية الإبداع والإنتاج الأدبي والشعري والفكري بجميع أجناسه الفنية ومذاهبه التقليدية والمتجددة.

إضافة إلى ذلك فإن هذا الرد يعكس الروح الوطنية لدى الشاعر محمد الفقيه صالح وهي مستمدة ومعبرة عن جيله بالكامل الذي تشبع خلال مراحل تكوينه الفكري بالمفاهيم الوطنية والقومية المناهضة والرافضة لمشاريع الوصاية والتقسيم والاستعمار الأجنبي. وهذا يؤكد بكل ثبات دور الشعر والثقافة في إذكاء الروح الوطنية وتعزيز اللحمة الواحدة والتعبير عن الهموم المشتركة وتوحيد الصفوف من أجل الوطن وحمايته من كل المخاطر والذي نراه متواصلاً حتى الوقت الراهن كما عبرّ الشاعر في نصه (يخضور)[1](28):

**(أتوسلُ إليك**
**أنْ تُدرِك وَطناً**
**تتناهشُه الأنيابْ**
**وقيَاصرةُ الخرابْ**
**يتبادلون نخبَ افتراسِهِ**
**من حضيضِ عليائهم.**
**أتوسلُ**
**أن تدركنا**
**قبل أنْ يصيرَ كلُّ طارقٍ غريماً**
**وكل طائرةٍ ورقية**
**حِدْأةً**
**تنّقضُ على دجاجاتِ العائلة..)**

1- قصائد الظل، ص 52-53

## (5)

تقول الحقيقة العلمية بأن التنوع والتعدد والاختلاف هو سمة الكون في جُلِّ مظاهره. وكذلك هنا تتنوع القصائد الرقيقة في هذه المجموعة الشعرية (قصائد الظل) وإن ظهر بها تشابه في اللغة والأسلوب والموسيقى فإن ذلك لكونها تستمد وجودها اللغوي من قاموس واحد، ومبدعها هو قلب وفكر ونفس شعري واحد، بعث فيها دفقة حيويته الضاجة بالعذوبة والموسيقى، وزرع بذور التأمل والسؤال في فضائها الخلاب، فاستعاد النص الشعري بها رونقه وعلو ذائقته بما توفر له من مقومات الجمال ودقة الصعنة وبلاغتها التي أبرزت سمو شاعريته وابتعدت فيها مفرداته البسيطة التركيب والعميقة الدلالة وصوره التعبيرية الخلابة عن دهاليز الغموض والرمزية القاتمة أو الوقوع في مستنقعات الركاكة الأسلوبية أو الارتماء في أسر الايقاع الظاهري المجلجل بالضجيج.

وأخيراً لا يمكنني القول بأن ما كتبته في هذه القراءة الانطباعية العاشقة تصلح لاعتبارها دراسة منهجية أو نقدية فنية لمجموعة (قصائد الظل)، بل أعدها تحية تقدير وإعتزاز بنصوص الشاعر محمد الفقيه صالح الذي ظل وفياً ومخلصاً لشكل ومضمون قصائد التفعيلة ومحافظاً على معاييرها الفنية والجمالية التي أمضيتُ معها وقتاً طيباً وحلقت في فضاءات عوالمها الشعرية العذبة، فنقلت لي الكثير من دماثة خلق الشاعر نفسه، وصور شخصيته الودودة وهذا - كما يبدو لي - أبرز مظاهر التفوق في النص الشعري الذي نستطيع من خلاله التعرف على شخصية مبدعه وأن نخرج بأحاسيس متدفقة بالحياة في الوجدان بكل حرارة ومتعة.



# 3

## الشاعر عمر الكديّ

الشاعر عمر الكديّ... يبوحُ بكلِّ شيء

## (بلادٌ تُحِبُهَا وتزدَرِيك)

على متن طائرة تحلق على مسافة حوالي أربعين ألف قدم تقلني إلى العاصمة التنزانية «دار السلام» لم أجد ما يساعدني على مغالبة ملل هذه الرحلة الطويلة التي امتدت قرابة ثمانية ساعات طيران متواصلة سوى ديوان الشاعر عمر الكديّ (بلادٌ تحبُها وتزدريك) الذي اخترته من بين مجموعة الكتب التي تتراص في جوف أرفف مكتبتي حين كنت أستعد لمغادرة بيتي.

وبينما كان جسدي بعيداً جداً عن تلك البلاد التي أحبها الشاعر وكل الأرض الرحبة، محلقاً في السماء فوق جبال السحب والغيوم، وسابحاً في فضاء ذاك الكون الفسيح استحوذ ديوان الشاعر عمر الكدي على عقلي ووجداني بداية من وجه غلافه الأنيق الجذاب وحتى صفحته الخلفية التي توشحت بجزء من نص عنوانه، واطلالة صورته بابتسامته البهية.

وفي "مقدمة لابد منها" التي يستهل بها الشاعر عمر الكديّ مؤلفه تستوقفك بعض الأسماء والمواقف ومناخات الوسط الثقافي التي تمثلت في شهاداته المعززة بتواريخ السنوات المحددة وأسماء الأصدقاء والرفاق فنجده يستحضر القاص سالم الاوجلي، والفنان مرعي التليسي، ومحمد علي الشويهدي، وعبدالسلام عوير، ومحمود البوسيفي، ومحمود اللبلاب، ومجاهد البوسيفي، وبالقاسم صميدة،

ونـوري عبدالدايم، ويوسف الشريف، والشاعرة فـريال الدالي، وعزالدين بلقاسم أثناء سرده لحكاية طباعة قصائده ومنعها لاحقاً من التوزيع والتداول في ليبيا خلال سنة 2000.

وحول حصوله على نسخة مهربة من إصداره الممنوع يقول الأستاذ عمر الكدي (.... تمكن سالم الأوجلي من الحصول على نسخة من الكتاب، واتصل بي هاتفياً من مصر للحصول على عنواني، وبعد أيام وصلتني النسخة الوحيدة التي نجت من المصادرة ....). ويضيف (... بعد عدة أشهر تمكن محمود البوسيفي من الحصول على نسخة أخرى من محمود اللبلاب، فأرسلها لي من بيروت حيث كان يعمل مديراً للمركز الثقافي الليبي، وكان البوسيفي قد حمل معه في شهر يوليو من عام 1999 كل أرشيفي والمستندات التي تؤكد تعرضي للاضطهاد في ليبيا، خوفاً من تعرضي للتفتيش الشخصي والذي عادة ما كان يتم في المطارات والموانيء الليبية، وما أن وصلتُ إلى هولندا حتى أرسلها لي، وهو ما مكنني من الحصول على حق اللجوء بسهولة....). ويختتم الأستاذ عمر الكدي مقدمته بسرد قصة طباعة مجموعته القصصية "حراس الجحيم" وروايته "حروب ماريش وثوراتها الثلاث" وكذلك تجميع قصائده التي كتبها في المنفى وإضافتها لديوانه المصادر وتغيير عنوانه إلى "بلاد تحبها وتزدريك" بدلاً من "أغاني ماريش" موجهاً شكره لكل من ذكرهم في مقدمته.

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

اختار الشاعر عنواناً متوازناً لديوانه (بـلاد تحبها وتزدريك) موحياً بالحيرة والتعجب ومسكوناً بالألم والحسرة حيث نجد الفعل الإيجابي المتمثل في حب الوطن (بلاد تحبها) يقابله رد الفعل السلبي

تجاه هذا الشعور (تزدريك) أي تحتقرك، أو تستخف وتستهزأ بك، وبالتالي فهو أمر طبيعي أن يبعث الاستغراب لأنه عكس الجزاء المنتظر أو المتوقع. ولو استبدل الشاعر حرف العطف (الواو) الذي يفيد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه بحرف العطف (الفاء) الذي يفيد الترتيب مع التعقيب لكان العنوان أكثر وضوحاً وتعبيراً لما يرمي إليه الشاعر.

وعند بداية تصفحي للكتاب اعتقدت أنه يضم ديواناً واحداً اقتبس مبدعه العنوان من إحدى أبرز وأجمل قصائده المنشورة به، ولكن تغير هذا الانطباع كلياً بمجرد تصفحي فهرس الديوان حين وجدته يضم أربعة مجموعات شعرية بغلاف واحد لعل ما يجمعها هو "ماريش" دون سواها. فالمجموعة الأولى هي "أغاني ماريش" وتضم اثنتي عشرة قصيدة جاءت على التوالي (ماريش، هدهدة، أغنية استسقاء، عام الثلج، أغنية الأرض، ليلة القنديل، خسوف، ليلة القدر، حزن، نبوءة، مرثية النفط، العائلة). والمجموعة الثانية هي "ماريش تتعقب خطاي" وتضم تسعة قصائد جاءت على التوالي (أن تكون شاعراً، سماء غادرتها الزرقة، انتظار، بلادٌ تحبها وتزدريك، من فوق كتفي، الأيام مرة حين نلوكها، ستشتمني ... سأضحك، على بعد ذراعين من الأربعين، آخر امرأة في فراشي). والمجموعة الثالثة هي "العودة إلى ماريش" وتضم تسعة قصائد جاءت على التوالي (وحدة، الباب الأزرق، أرى ما لا ترون، العودة إلى ماريش، بحر الأطلال، بحر الحياة، بحر الكبرياء، وحدة الكائن وظله، الرحلة الأخيرة لسمك السلمون). والمجموعة الرابعة هي "بعيداً عن ماريش" وتضم قصيدتين هما (الديك والمزبلة، بابٌ على البحر وأبواب على الصحراء). ثم "المراثي" التي وضعها ضمن المجموعة الأخيرة وضمت

خمسة نصوص هي (ضميرنا الذي لا يموت، على بعد خطوتين من قبر أمي، لو أنك، أرفق بحالك، أرحل أيها الطاغية).

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

القاريء لهذا الديوان سيجد نفسه مستغرقاً ومتدبراً في المكان الجغرافي "ماريش" الذي أبدعه الشاعر وأضاف إليه من وحي خياله، وبعثه بشكل متكرر في عدة صور متباينة، وصفات متفاوتة فظهرت عشبة في مهب الريح، وريشة تراقص سقوطها، وطائراً، وعشاً، ووجهاً عابساً، وسراً مراً، وخيمة بدوية، وهودجاً لا يستقر، ورحماً في الصخر، وشاهد قبر، وأكذوبة بريئة، وزهرة في قش، ودملة في القلب.

ولا شك أن مكاناً بكل هذا الحضور سواء الطبيعي الواقعي متمثلاً في عين ماء بمدينة غريان، أو المتخيل الوهمي الباذج الذي ليس له مكان إلا في تصوير الشاعر، شكل بكل وضوح محركاً مؤثراً في إبداعات غالبية نصوصه، وظل منعكساً في نواحي عديدة أبرزها توثيقه لأحداثها وأعلامها وذكرياتها في سيرته الشخصية وإنتاجه الشعري والأدبي، وهو لم يكتفي بالتغني بذاك المكان فحسب بل غاص في ثنايا تاريخه منقباً عن كل حكاياته التي يعتبرها النبع الذي ارتوى منه خلال مسيرة حبه وعشقه للوطن بربوعه كافةً.

ولا يقتصر ظهور "ماريش" في النص الذي يحمل اسمها فحسب بل نجده في نصوص كثيرة أخرى مثل "عام الثلج" (انحدرت قدمان نحو ماريش)، وفي "أغنية الأرض" (والراجلون غمام أخطأ ماريش) و(راجلاً وحيداً مودعاً ماريش)، وفي "خسوف" (ماريش تملأها الظلمة والصخب) وغيرها.

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

تفاوت النفس الشعري لدى الأستاذ عمر الكديّ فجاء أقصر نصوصه (حزن) الذي يصوّر غرق شقيقه في البحر وانعكاس ذلك على والده ووالدته، ونصه الأطول (بلاد تحبها وتزدريك) الذي باح فيه بكل دفقات قلبه ومشاعره وحنينه نحو موطنه وتجول بين ربوعه عازفاً سيمفونية عشق تتهادى وتستقر في وجدان المتلقي بكل تودد. وفي جانب أخر من ديوان عمر الكدي (بلاد تحبها وتزدريك) نلاحظ أن إهداءات الشاعر قد تنوعت بين الأحياء والأموات من عصور متباعدة فنجده يهدي نصه "انتظار" إلى أخيه (إبراهيم)، و"الأيام مرّة حين نلوكها" إلى (مجاهد البوسيفي)، و"ستشتمني... سأضحك" إلى (يوسف الشريف)، و"باب على البحر وأبواب على الصحراء" إلى (أمي التي لم تلدني .. فاطمة جبريل)، و"بحر الأطلال" إلى (إمريء القيس)، و"بحر الحياة" إلى (أبي نواس)، و"بحر الكبرياء" إلى (أبي الطيب المتبيء) ونلاحظ غياباً واضحاً لتأريخ وأمكنة ولادة كل نصوص الديوان مما يجعل حركة رصد تطور أدوات الشاعر ومضامين نصوصه تفتقر إلى أهم العناصر وهو التسلسل والتتابع التاريخي لإنتاجه الابداعي. أما مراثي الشاعر فقد اختار أن يخص بها روحي "المناضل فتحي الجهمي" في (ضميرنا الذي لا يموت) و"بلقاسم المزداوي" في (على بعد خطوتين من قبر أمي) ونتيجة للعلاقة الشخصية القوية والمميزة التي تربط الشاعر بالراحل "بلقاسم المزداوي" نجده يستحضره في نص آخر بشكل غير مباشر حين يخاطبه في "لو أنك" وهو يصور حادث السير المروع الذي أودى بحياة الصديق الراحل "بلقاسم المزداوي»:

**(... لو لم نسهر ليال طويلة نضحك من هذا الزمان**

**لو لم ترسل لي صورة الجامع والمقبرة**

**لو لم أقل لك أن قبر أمي هناك ...)**

ولا أدري لماذا لم يضف الشاعر عمر الكدي دفقة هذا النص "لو أنك" إلى نصه في رثاء صديقه المزداوي "على بعد خطوتين من قبر أمي"؟ فالنصان يحملان مشتركاً واضحاً وقوياً ويشكلان توحداً في المناخ الشعري والشخصية المخاطبة وربما توقيت ولادتهما تأثراً برحيل الصديق العزيز.

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

يقدم لنا الشاعر تعريفاً بنفسه في نصه (العائلة) ويؤكد ارتباطه القوي بعلاقاته الوجدانية والتاريخية وجذوره العائلية من خلال طرحه سؤالاً إنكارياً عميقاً في مضمونه حين يقول:

**(... أدرك أنني ضرير**

**يبحث في تبن التاريخ عن يقينه الضائع**

**في أعماقي تضج الأساطير**

**فكيف لي أن أرقص على ساق واحدة**

**وهم ساقي الثانية؟)**

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

الشعر بحر زاخر بالمعاني والقيم، وهو أيضاً مثلما يقول الشاعر الفرنسي "آرثر رامبو" (الشعر رؤيةُ ما لا يُرى)، ولكن يبدو أن الشاعر عمر الكديّ قد تجاوز في نصوصه هذا التعريف المحدد الدال على

الإحساس بالرؤية الخفية غير الظاهرة، حين عمل على إظهار ما تحقق له من تلك الرؤية المادية إلى صورة حسية راقية ومؤثرة بعثها ووجهها للقاريء بكل بلاغة. كما تؤكد نصوص الديوان أن الشاعر الكدي يدرك تماماً أبعاد ورسالة نصه فظل يعمل بكل الهدوء المرادف للتركيز والتدبر والتأمل والتمعن على تطعيمه وزركشته بجميع أشكال الجذب والتشويق والتأثير بكل عناية، ولذلك جاءت قصائده مثل بانوراما تنصهر فيها أفكار وصور ومواقف وأراء وشخصيات وشواهد عديدة تتخطى عتبة الشخصي لتتوغل في أعماق الوطن والوجدان. كما نجد أنه بالرغم من الرؤى والأفكار والقلق والانشغال بهموم الوطن ولهفته وشوقه لأمكنة وأصدقاء وأجواء مفعمة بالبهجة ومكتظة بالوجع، فإن نص عمر الكدي هو نص متشابك يتناول تفاعلات المجتمع ويمارس تشريحاً نقدياً لاذعاً من خلال أسلوب السرد متكئاً على التاريخ كشاهد في أحايين كثيرة. ويغلب على نصوص الديوان إيقاع خافت الأنين، وعميق الحلم بشجنه وأشواقه، أما الخيال فلا نكاد نراه كثيراً وإن ظهر فهو لا يغوص في المدايات البعيدة بل يظل يلامس نسق الحياة ومفاهيمها الواقعية المعاصرة. وإجمالاً فإن معظم قصائد الشاعر عمر الكدي تتفاعل بصور شعرية تتحاور بين السرد النثري والإيقاع الشعري لتشكل لوحة تعبيرية مشتركة متبادلة بين الشعر والنثر تتداخل فيها الموسيقى الشجية وعذوبة رقصات الكلمات الموجعة.

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

أسئلة وتساؤلات الديوان جاءت لتؤكد حالة البوح المطلق وتحرير

المكبوت من أجل اكتشاف علاقات جديدة بين الشاعر وعالمه حين ينقل إليه معاناته وعذاباته بغرض اقحامه في البلورة الفكرية المشتركة بين النص ومبدعه ومتلقيه. وطالما كان التساؤل ظاهرة أزلية فقد أبدع الشاعر عمر الكدي في إنتاجه وإطلاقه بشكل مفرد ومتكرر مستخدماً العديد من علامات الاستفهام. وأول ظهور كان في "عام الثلج" حين يقول:

**(... آه.. ما جدوى السخرية وخفة الدم)**

**و(أيكون أبيضا وناصعا كسريرته؟**

**أيكون طفلا وهذا مهده؟)**

وفي قصيدته الرائعة «بلاد تحبها وتزدريك» نجد الشاعر يلهث وراء إجابة تنقذه من حالة القلق والبحث:

**(دليني كيف نتفق أيتها الأنثى الماكرة؟**

**دليني كيف أبثك حنيني؟**

**وكيف أتماسك؟**

**دليني كيف أحبك أكثر؟**

**وكيف أروض هذا الدلال الفج؟**

**وكيف لا أدوس ارتباكي في الشارع المزدحم؟)**

ولا يحدد الشاعر موضعا معينا لسؤاله حيث نجده في نصه «انتظار» يستهل به خطابه لأخيه ابراهيم:

**(هل انتظرتني طويلا؟**

**لتروي بطفولتي طفولتك اليتيمة الظامئة)**

وكذلك في «الأيام مرّة حين نلوكها» عندما يخاطب صديقه مجاهد البوسيفي متسائلاً منذ السطر الأول:

**(أخبرني في أي القرون نحن؟)**

**ويواصل في ثنايا النص:**

**(أخبرني ما الذي مات فيا؟**

**وما الذي مازال حيا؟)**

**«بلادٌ تحبُها وتزدريك»**

لا أنكر استمتاعي بجمالية وعذوبة نصوص الشاعر التي نشرها في هذا الديوان، وتمضيتي وقتاً ممتعاً في أجواءها، تارةً متأملاً تعبيراتها الرقيقة وصورها الجمالية الخلابة التي تؤكد المخزون المعرفي الثقافي واللغوي الزاخر للأستاذ عمر الكدي ومشاعره المرهفة وحسه السياسي الثاقب، وتارة أخرى مسترجعاً بعض الأمكنة والأسماء التي يبوح لها أو عنها، ومعاناته من أجل حرية التعبير وسبل العيش الرغيد في ربوع الوطن بين الأهل والأحبة والأصدقاء. ومن بين نصوص الديوان الرائعة أشعر بأنني مدين لنصه "بلادٌ تحبُّها وتزدريك" الذي اخترق جدران القلب والعقل وحرك شجوناً وأمطر سيولاً لتلك "البدوية الشرسة" و"الفرس الجامح" و"النخلة السامقة" و"الأنثى بشهوة محمومة" و"الزيتونة الوارفة". كما أن نصه الرائع "باب على البحر وأبوابٌ على الصحراء" الذي تغزل فيه بمدينة طرابلس "زهرة الصبار" و"الحورية" و"النورس" و"تنهيدة الوداع" قد سكن في القلب بكل سلاسة وعزف أنينه وفجر دموعاً صامتة.

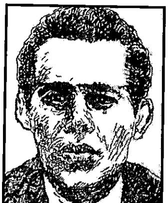
وبجانب ذلك تظل قصيدته "أرى ما لا ترون" نبؤة شاعر برع في المراوغة والتخفي باستخدام الرمز لينسج نصه حلماً يعرضه لسطوة وغضب الحكام الذين يسخرون كل أدواتهم القمعية بغية مصادرته والنيل من مبدعه الذي تعرض إثر مشاركته بهذه القصيدة سنة 1995 في برنامج النشاط الثقافي لمعرض طرابلس الدولي كما يقول (... منذ ذلك اليوم لاحظتُ أنني أخضع لرقابة مشددة، وكانت هناك سيارة تتبعني أينما ذهبت. وبعد ستة أشهر علمتُ من محمود البوسيفي أن بالقاسم صميدة رئيس المؤسسة العامة للصحافة في ذلك الوقت أخبره بأن الاجراءات اتخذت لاعتقالي وتقديمي إلى المحكمة الثورية بعد الأمسية مباشرة....)، وتقول هذه القصيدة الرمزية الرائعة:

**(عاصفةٌ وأنا الربانُ**
**مصلوبٌ على قمة الصاري**
**ويضيع صوتي في صخب الجنون**
**خشبٌ يئن والمساميرُ تصيح**
**أرى ما لا ترون**
**تقفز الفئرانُ أولاً**
**دائماً تقفز الفئران أولاً لتغرق**
**ثم يتبعها اليائسون**
**وقبضاتهم تمتليء بالهواء والماء**
**أرى ما لا ترون**
**سأرى البحر وهو ينطبق عليكم**
**وسأرى ما لا ترون**

سأرى الحطام والشظايا من حولي

وأنا أغوص خلفكم

حتى لا يفوتني شيء.)



# 4

# الشاعر علي الرقيعي

# إهداءاتُ

## الشاعر علي الرقيعي[1(*)]

تتصدر بعض المجموعات الشعرية أو الدواوين تقديمات وتوطئات أو إشارات قصيرة تتموقع غالباً في مستهل الديوان أو تحت عنوان القصيدة مباشرة، يختارها الشاعر مبدع النص لأسماء أو شخصيات محددة، أو أمكنة جغرافية أو أحداث تاريخية مهمة يحمل لها في نفسه شعوراً خاصاً مميزاً، أو صفات إنسانية معينة يهدي إليها ديوانه كاملاً أو قصيدة خاصة من قصائده أو نصاً من نصوصه الشعرية بكلمات أو عبارات مكثفة.

وعند قراءة وتحليل النصوص الشعرية كثيراً ما يحاول النقاد والدارسون البحث فيما وراء هذه الإهداءات التي يطلق عليها بعضهم النص الموازي أو الملحق[1] أو يسميها آخرون عتبات النص[2]، وذلك في محاولة منهم لتحليل تلك الإهداءات والغوص في ثناياها وتوظيفها لفك بعض الطلاسم، أو لتكون معيناً لهم فتساعدهم على استيعاب بعض علاقات الشاعر بمضمون نصه، أو ربما تضيف معرفة أعمق حول ذائقة الشاعر أو ميوله الوطنية أو انتماءاته السياسية أو غيرها من المعلومات التي لا يبوح بها النص مباشرة ولكنها تتخفى وراء تلك الإهداءات أو الإشارات. كما أنها أحياناً قد تدرس لكونها إيحاءات لإكتشاف جانبٍ من جوانب الشاعر الخاصة قد يبرز في سياق

---

1(*) صحيفة "صباح أويا"، العدد رقم 13، الصادر بتاريخ 2011/1/27، الصفحة رقم 16

المقارنات بين أبيات ونصوص الشاعر وعلاقتها مع رموز ودلالات إهداءاته التي يختارها ويعلقها على صدر قصائده وغيرها من المواضيع الأخرى ذات الارتباط الوثيق بدراسات النقد الأدبي.

ولقد ظل التعامل محدوداً مع أهمية ودلالات الإهداءات في دراسة النصوص الشعرية ونقدها أو تحليلها في الشعر الليبي خاصة، وإن كان ظهور الإهداء كعتبة مرور لأعماق النص ليس ضرورياً ولا يحمل أهمية كالعنوان أو اسم المؤلف مثلاً، إلاّ أن وجوده وظهوره يعطي مؤشراً لأهميته وإلا ما اختار الشاعر أن يلحقه بداخل أو خارج نصه. ولاشك أن هذه الأهمية تكون مشتركة بين النص الشعري كقيمة إبداعية ومدى ارتباطه بشخصية المهدى إليه، وبين الشاعر وعلاقته الخاصة والمميزة بالمهدى إليه أيضاً.

ولعل هذا هو ما دعاني في هذه الورقة البسيطة إلى تناول هذا الجانب، بشكل لا يتجاوز التتبع السردي لنصوص الشاعر علي محمد الرقيعي من خلال قصائده المنشورة في ديوانيه (الحنين الظامىء) الصادر في طبعته الأولى سنة 1979 ضمن منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، و(أشواق صغيرة) الصادر في طبعته الثانية عن الشركة ذاتها سنة 1978، وكتاب (الليل والسنون الملعونة ... قصائد ومقالات مجهولة للشاعر علي محمد الرقيعي) من تجميع وتقديم الدكتور بشير العتري الصادر سنة 1990 في طبعته الأولى ضمن منشورات أمانة الإعلام والثقافة ببلدية طرابلس، وكتاب (لم يمت.. قصائد ومقالات مجهولة للشاعر الراحل علي الرقيعي) للدكتور بشير العتري ضمن منشورات المؤسسة العامة للثقافة في طبعته الثانية الصادرة سنة 2009.

ومن خلال المصادر المذكورة وهي تحتوي على كل ما تم نشره وتجميعه للشاعر علي محمد الرقيعي حتى هذا التاريخ، يتضح أن الشاعر في ديوانه (الحنين الظامئ) الذي تصدره إهداءه الرئيسي (إلى القوى المبدعة ... التي تعمل من أجل شعبنا الناهض)[3] وهو يحتوي على واحدةٍ وأربعين قصيدة قد أهدى ستٍ منها لأسماء ورموز مختلفة جاءت كالتالي:

1 – قصيدة «أغلال» ويهديها (إلى صاحب الآهات الرائعة الأستاذ الشاعر محمد أحمد سالم)[4]

2 – قصيدة «لننهض» ويهديها (إلى الفتية الذين يعملون في دأب وصمت لنهضة الأم الكبرى. أرواح الشهداء الطاهرة التي تطل من منافذ الخلود لترى ماذا عمل أبناء الأرض الطيبة أهدي هذه الخفقة)[5]

3 – قصيدة «أنشودة العائدين» ويهديها (إلى إخواننا أبناء تونس المجاهدة ... إلى العائدين إلى رحاب الوطن)[6]

4 – قصيدة «من أجل حقي» ويهديها (إلى كل فلاح في بلادي.. يحرث الأرض ولا ينال إلا التعب)[7]

5 – قصيدة «مناجاة» وهي كما يقول الشاعر بأنها (مهداة إلى الصديق الأستاذ خليفة التليسي)[8]

6 – قصيدة «صلاة الثائر» ويهديها (إلى الفتية الحاقدة تسعى ليوم خلاصها)[9]

أما ديوانه الثاني «أشواق صغيرة» الذي يحتوي على خمسة عشر قصيدة فقد جاء هذا الديوان بلا إهداء خاص أو تقديم من الشاعر ولكنه يضمنه نصين شعريين حملا إهداءين صريحين على النحو التالي:

1 – قصيدة «إلى الشاعر التركي الكبير ناظم حكمت»[10]

2 – قصيدة «إلى روح الشاعر الكبير أحمد الشارف»[11]

ويمكن إضافة قصيدة «أغنية من كنغولي إلى باتريس لومومبا»[12] التي لم يظهر فيها الإهداء مباشراً وإنما حمله عنوانها ومفتتحها حين استهلها الراوي بصوت المتكلم الذي تقمصه الشاعر في سرد نصه بصفته مغنياً كونغولياً.

وبالإضافة إلى الإهداءات التي ظهرت في الديوانين المذكورين نجد الشاعر يهدي نصوصاً أخرى غيرها نشرت في جريدة طرابلس الغرب خلال الفترة من 1954/2/24 إلى 1960/5/9 كما يشير كتاب (الليل والسنون الملعونة) الذي احتوى على عشرين نصاً شعرياً أهدى الشاعر علي الرقيعي ثمانية منهم على النحو التالي:

1 – قصيدة «ابن ليبيا» ويهديها (إلى هذه الأرض الحمراء التي سقتها الدماء ورأت كل شيء وتحاول أن تحصل على كل شيء. إلى الأرض نباتها للحرية ومهد الأحرار. إلى الدم سقياً لزرع المستقبل بل إلى العرق والدموع وكله في سبيل حياة أفضل إلى هؤلاء أهدي صرخة الأحرار)[13]

2 – قصيدة «ملل» ويهديها (إلى «م» .. إليك أيتها الطينة المتحركة..)[14]

3 – قصيدة «نداء قلب» ويشير إلى أنها (مهداة إلى أخي علي حلمي تحية أخوة)[15]

4 – قصيدة «ومضة قلب» ويصدرها الشاعر (إلى أخي الأستاذ الأديب علي مصطفى المصراتي مع أطيب التهاني بمناسبة زفافه الميمون)(16)

5 – قصيدة «لحن لم يتم» ويشير الشاعر بأنها مهداة (إلى روح زميلي «الطاهر شنشن» ذلك الشجاع الخابي)[17]

6 – قصيدة «لن يسرقوني» ويهديها (إلى الزهرة التي تفتحت على رُبى بلادي تشاركني الأمل في مستقبل شعبنا الطيب)[18]

7 – قصيدة «إلى عبدالوهاب البياتي» وهي إهداء صريح ومباشر حمله عنوان النص[19]

8 – قصيدة «لن يمروا» ويهديها الشاعر (تحية إلى كفاح الشعب التونسي البطل ضد الاستعمار وقوى الشر)[20]

وبالإضافة إلى هذه الإهداءات نجد الشاعر يهدي نصين آخرين نشرا في جريدة طرابلس الغرب خلال الفترة من 1954/1/20 إلى 1959/12/3 كما يشير كتاب (لم يمت) الذي احتوى على اثنى عشر نصاً شعرياً أهدى الشاعر علي الرقيعي اثنين منها على النحو التالي:

1 – قصيدة «لم يمت» ويهديها (إلى الأستاذ الشاعر محمد أحمد سالم)[21]

2 – قصيدة «الحنين النبيل» ويهديها الشاعر بقوله (تحية عربية خالصة للأنسة الكريمة: هيام الدردنجي اعتزازاً بشاعرية رقيقة وأملاً في العودة إلى فلسطين الحبيبة)[22].

وهكذا نجد أن شاعرنا علي محمد الرقيعي قد أهدى ثمانية عشرة قصيدة من مجموع ثمانية وثمانين قصيدة هي مجموع ما نشر له في جميع المصادر المذكورة في هذه الورقة.

وقد تنوعت هذه الإهداءات بين العامة المفتوحة والخاصة المحددة بالأشخاص أو الأمكنة أو الأسماء الرمزية التي تتخفى وراء حرف من الحروف، وتفاوتت مساحة هذه الإهداءات بين السطر الواحد

أو أقل من ذلك، إلى السطور المتعددة التي تصل إلى حد المقطع الطويل. ونلاحظ أن الشاعر قد أفصح في إهداءاته عن مجموعة من الأسماء الخاصة لست شخصيات جاءت كالتالي بالصفات التي أضفاها الشاعر نفسه عليهم:

1 – الأستاذ الشاعر محمد أحمد سالم، وتكرر ذكره مرتين في قصيدتين مختلفتين.

2 – الأستاذ الصديق الأديب خليفة التليسي،

3 – الأخ علي حلمي،

4 – الأخ الأستاذ الأديب علي مصطفى المصراتي،

5 – الزميل الطاهر شنشن.

6 – الآنسة الكريمة هيام الدردنجي

ولاشك أن هذه الإهداءات تعكس علاقات ذات بصمات تقترن بمواقف وأحداث الشاعر الخاصة والمميزة بهؤلاء الأصدقاء وزملائه وأحبته الذين اختار أن يكرمهم ويحتفي بهم فيسكنهم نصوصه ويتحاور معهم عبر أبيات قصائده حول العديد من المواضيع ذات الطابع المشترك ويبثهم شجونه ويشركهم أفراحه وهمومه، ويقدمهم للمتلقي ويقحمه في تلك العلاقة المشتركة ليطلعه عليها ويدعوه للتفاعل معها.

وقد امتدت تلك الإهداءات الخاصة عند الشاعر علي الرقيعي لتشمل عدداً من الشعراء الليبيين والعرب وغيرهم ممن تقاسم معهم أهدافاً ومباديء وطنية أو قومية أو إسلامية أو افريقية أو إنسانية، وهو ما يبرز روح الشاعر المنفتحة والمتضامنة مع الآخر متجاوزة حدود الجغرافيا الوطنية الضيقة لتسبح وتعانق فضاءات أبعد، وفكر

أرحب وأوسع وأشمل، ولذلك نجده قد تواصل مع عدد من الرموز الشعرية وأهداها نصوصه تقديراً لها وإيماناً بقضاياها الإنسانية المشتركة وتضامناً معها. ومن هؤلاء الشعراء:

1 – الشاعر التركي الكبير ناظم حكمت

2 – روح الشاعر الكبير أحمد الشارف

3 – المناضل الإفريقي باتريس لومبوبا

ومن خلال إهداءت الشاعر نلاحظ أنها إجمالاً قد اتسمت بوضوحها وبساطة مفرداتها اللغوية، وتفاوتت نسبياً وبشكل كبير في عدد جملها وطول وقصر كل منها. ففي الوقت الذي نجد أن أقصر إهداء يظهر في قصيدة «ملل» تأتي إهداءاته طويلة نسبياً في قصيدته «لننهض» والأطول في قصيدته «ابن ليبيا».

كما يبدو من هذه الإهداءات أن الشاعر المرحوم علي الرقيعي كان يتطلع إلى مخاطبة الجموع بشكل عام والشباب والفتية بشكل خاص كما نلاحظ من إهداءه الرئيسي في ديوانه «الحنين الظاميء» الذي يهديه (إلى القوى المبدعة ... التي تعمل من أجل شعبنا الناهض) وفي قصيدته «لننهض» التي يهديها (إلى الفتية الذين يعملون في دأب وصمت لنهضة الأم الكبرى. أرواح الشهداء الطاهرة التي تطل من منافذ الخلود لترى ماذا عمل أبناء الأرض الطيبة أهدي هذه الخفقة). وفي قصيدته «من أجل حقي» التي يهديها (إلى كل فلاح في بلادي.. يحرث الأرض ولا ينال إلا التعب) وفي قصيدته «صلاة الثائر» التي يهديها (إلى الفتية الحاقدة تسعى ليوم خلاصها) وفي قصيدته «ابن ليبيا» التي يهديها (إلى هذه الأرض الحمراء التي سقتها الدماء ورأت كل شيء وتحاول أن تحصل على كل شيء. إلى

الأرض نباتها للحرية ومهد الأحرار. إلى الدم سقياً لزرع المستقبل بل إلى العرق والدموع وكله في سبيل حياة أفضل إلى هؤلاء أهدي صرخة الأحرار).

إن هذه الورقة وإن كانت تسلط الضوء وتشير إلى هذا الجانب لدى الشاعر علي محمد الرقيعي بشكل عابر، فإنها تؤكد أن شاعرنا كان يحمل حباً عميقاً للوطن وللقيم الإنسانية النبيلة الخالدة، ويتقد حماسة وعطاء إبداعياً، وكان فكره يمثل بذور التجديد والثورة على قوالب الشعر التقليدية، والدعوة لمعانقة المستقبل بكل آماله العريضة، والمناداة بعالم جديد سواء في الشعر أو السياسة الوطنية. وما يؤكد هذا أننا نجده من خلال أعماله قد خاطب الأرض والوطن والأشقاء والجموع وفئات المجتمع المختلفة وأهداهم نصوصه الشعرية الرقيقة والعميقة المعبرة عن روحه الشفافة وتطلعاته ورؤاه.

وفي ختام هذه الورقة التي حملت إشارة بسيطة إلى إهداءات الشاعر علي محمد الرقيعي فإن العديد من الأسئلة تظل مشرعة حول هذه الإهداءت لمعرفة مبعث اختياره هؤلاء الشخصيات أو الأمكنة والمناسبات واتخاذها عتبات الولوج إلى نصوصه الشعرية الرقيقة، ولعل أبرز هذه التساؤلات التي تطرحها هذه الورقة مثلاً هو إهداءه قصيدة عروضية ميمية إلى (روح الشاعر الكبير أحمد الشارف) وهو أحد الشعراء التقليديين، جاءت في أربع وأربعين بيتاً يستهلها بقوله:

**ماذا؟ أنبكيك؟ أين العهدُ والقسمُ؟ يا صرخةً بالضياء العذبِ ترتسمُ**

ويخاطبه قائلاً:

**أبا الروائع هل لي فيك قافيةُ نارية من شعاع الشمس ترتسمُ**

**فدى العيون اللواتي لا يعانقها دفء الشموس ولا شدو ولا حلمُ**

ويدعوه:

**فانثر قوافيك أقماراً مشعشعةً على دجانا وخلِّ الليلَ ينهزمُ**

**أحبُّها هتفة حبلى بموعدِنا مع نهار كوجه الله يبتسمُ**

ويناديه (يا شاعر الشعب) مرتين في آخر قصيدته قائلاً:

**يا شاعر الشعب ما ضوء النجوم إذا تمرغ الشعر فوق الوحل قل لهمو**

وأيضاً:

**يا شاعر الشعب آلام وتضحية هذي الليالي ويدل هذه الظلمُ**

**ومحنة الليل أن الفجر يعقبه مهما تطاولت الآلام والسقمُ**

ولاشك أن إهداء هذه القصيدة التقليدية لأحد الشيوخ التقليديين يعكس أخلاق الشاعر علي الرقيعي الرفيعة المتمثلة في تقديره واحترامه لمن سبقوه من الشعراء رغم اختلافه مع نهجهم وأسلوب تعبيرهم الشعري، كما تمثل إحتفاء بشيخ الشعراء ورمز النظم والتيار العروضي السائد في الحركة الشعرية الليبية آنذاك. كما يبدو من الإهداء أنه لا يتعارض عند شاعرنا علي الرقيعي مع كونه يمثل اتجاهاً مجدداً في الشعر الليبي شكلاً ومضموناً. وإهداء من هذا النوع يبرز شهادة ويعكس المناخ الثقافي المتعدد الأطياف والتواصل الشعري بين الأجيال من أجل تطوير الحركة الشعرية الوطنية. إن هذا التأويل وغيره كثير يمكن أن تفصح عنه الإهداءات التي وقعها شاعرنا المرحوم علي الرقيعي على صدر قصائده ولهذا فإن مواصلة البحث والدراسة المتعمقة في هذا الجانب يضيء دروباً ومسارات أخرى للشاعر ويضيف معرفة أعمق نحن في أمس الحاجة إليها لإثراء التحليل الموضوعي العميق لنصوص شاعرنا المرحوم علي محمد الرقيعي.

**هوامش:**

1 - انظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989

2 – انظر: عبد الفتاح الحجمري عتبات الكتابة: البنية والدلالة. منشورات الرابطة، الدارالبيضاء 1996

3 – علي الرقيعي، الحنين الظامئ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1979، ص45

4 – المرجع السابق، ص57

5 - المرجع السابق، ص 67

6 - المرجع السابق، ص 78

7 - المرجع السابق، ص 106

8 - المرجع السابق، ص 113

9 - المرجع السابق، ص 145

10 – علي محمد الرقيعي، أشواق صغيرة، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ج.ع.ل.ش.أ، ط2، 1978، ص 91

11 - المرجع السابق، ص 113

12 - المرجع السابق، ص 103

13 – بشير العتري حنين، الليل والسنون الملعونة قصائد ومقالات مجهولة للشاعر علي محمد الرقيعي، منشورات أمانة الإعلام والثقافة ببلدية طرابلس، ط1، 1990، ص 35

14 – المرجع السابق، ص 46

15 – المرجع السابق، ص 49

16 – المرجع السابق، ص 52

17 – المرجع السابق، ص 54

18 – المرجع السابق، ص 59

19 – المرجع السابق، ص 77

20 – المرجع السابق، ص 86

21 – د.بشير العتري، لم يمت قصائد ومقالات مجهولة للشاعر الراحل علي الرقيعي، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ط2، 2009، ص 23

22 – المرجع السابق، ص 51



# 5

## الشاعرة فريـــال بشير الدالي

# «ليبيا»

## في نصوص فريـال الدالي[1](*)

شعرها ينساب رقراقاً بلا تكلف، تنسجه حالة الهوس بالقصيد، ومذاقات الحروف والكلمات العذبة التي تتشكل من وحي الحالة أو الحدث، فتزين روح المتلقي بأحاسيس الوجد والشوق والمضامين الواثقة من توطنها في عقله. قليلة هي أسطر نصوصها ولكنها مفعمة بالاندهاش والأنين والحنين والمونولوج أو الحوار مع الذات المعذبة، المتلهفة لصور الجمال بكل ربوع الوطن المتمدد في القلب والعقل، وللفارس الممتطي صهوة الزمن على أشرعة الخيال. تصوغ القصيدة القصيرة ذات الأسطر القليلة أو القصيدة الومضة بدلالات التعبير المكثف فتمتشق حروف لغتها علامات الرفع والخفض والنصب والجر بكل قدسية وتلقائية وإتقان سواء المنقوشة على الورق أو الصادحة المدوية بصوتها الرقيق الشجي حين تلقيها أمام الجموع في أمسيات الشعر فتأسرهم وتسرق خيالاتهم وتدير محركات عقولهم صوب مدايات الفكر والفن والخيال.

وهي ككل شاعرات وشعراء الجيل الذين يبدعون في صياغة هذا النوع من النصوص يركزون على تحرير نصوصهم من القيود اللغوية والفروض الموسيقية للقافية وبحور الشعر الكلاسيكي، لذلك نجدهم يؤلفون نصوصاً من سطور قصيرة وتراكيب قليلة تقدم صوراً متكاملة تتجاوز الحواس السمعية والفكرية لتنسج جملاً مرئية تصنع رؤية بصرية في ذهن المتلقي تتوالى متسارعة الإيقاع والتفاعل والتأثير تمشياً مع سرعة العصر ومتطلباته التقنية والموضوعية.

---

1-(*) صحيفة ميادين، العدد رقم 27، السنة الأولى، بتاريخ 15 نوفمبر 2011، ص 17

جاء ديوان الشاعرة فريال بشير الدالي الأول (محاولة لصف ازدحام) الصادر سنة 2006 مزداناً بثمانية وعشرين نصاً متنوعاً، هم على التوالي «طابور أول»، «طابور ثان»، «ليبيا»، «تحية»، «أوبرا»، «إطلالة»، «ملاذ»، «صحبة»، «ترقب»، «دعاء»، «محاولة لصف ازدحام»، «رسالة»، «تفاعل»، «ضفيرة»، «هجرة»، «عينان»، «أحلمك»، «حلم»، «متوكلاً على وعود تقوده»، «استعداء»، «شتاء الخريف 28»، «سفر»، «تأبين»، «بؤر»، «من ملامح الطالع»، «بؤر 2»، «عطش»، «صفحة».

وقد استهلت الشاعرة ديوانها بطابور أول من الإهداءات إلى الأب ( وطن الحنان.. من يزفنا .. إلى المعرفة تباعاً) والأم (الطفلة التي ضخّتني .. صفحة حب إلى الدنيا.. مواطن الصبر) والأخوة (راياتي المتسامقة: حسام الدين، حاتم، علي، علاء الدين، محمد .. رجالا للوطن) ثم إلى (وطن يَعُدُّ رجاله، إلى حلم مزقه العيد.. إلى ذكرى لا تتجسد، إلى يوم عرفتك، إلى وطني المهاجر إليّ، إلى حنيني الدائم.. نهرا إليك.. إلى ابتسامةٍ تنبعثُ بذكرك، إلى امتلائي بك، إليَّ وأنا أتجسدك، وطني المهاجر فيَّ).

وتلي الطابور قراءة للمرحوم الشاعر لطفي عبداللطيف بعنوان (وجدان) وهو الاسم الذي نشرت به الشاعرة نصوصها في بداية مشوارها مع الشعر قبل أن تعلن اسمها الحقيقي. ويصف الشاعر لطفي عبداللطيف تجربة الشاعرة فيقول ( ..وهكذا تطاول هذه الفتاة صوراً من عالم لا ينضب فيه المجاز، لتعود منها بملامح ولوحات على قدر ما تستوعبه تجربتها التي توحي بوعود ..).

وعند تصفح هذا الديوان نلاحظ أن معظم عناوينه قد اعتمدت

الكلمة الواحدة لدعوة القارئ للولوج إلى متون النصوص، وهذا ينم على روح البلاغة والإيحاء والتكثيف التي تستهل فيها العلاقة معه وبدء تفاعله مع فضاءها الشعري. كما نلاحظ أن نصوص الديوان جاءت خالية من أية عتبات أو إشارات أو تواريخ قد تمنح القارئ أو الناقد معلومات أو مفاتيح تساعده على فهم النص وخلفيات تكوينه أو خلقه، فيما عدا قصيدة «متوكلاً على وعود تقوده» التي كتبتها الشاعرة «تفاعلاً مع حدث وفاة زوجة الشاعر مفتاح العماري».

أما ديوانها الثاني (أتقفى آثار عطرك) الصادر سنة 2009 والمتضمن اثنين وعشرين نصاً والذي تهديه إلى (أصدق الحالات الإنسانية ... في كل مكان!) فقد احتوى على اثنين وعشرين نصاً جاءت متتالية «فضاء»، «اشتعال»، «الكلمة»، «شيء منك..ليبيا»، «تعلق»، «آثار عطرك»، «؟؟؟»، «مزاج»، «إلى الدنيا»، «موصولة بالشوق»، «انتظار»، «ثلاث دمعات»، «جزاء»، «حال»، «نداء 1»، «نداء 2»، «استغاثة»، «تساؤل»، «مصير»، «؟؟»، «سيرة»، «أمل». وقد جاء نصان بلا عناوين حيث أكتفت الشاعرة بوضع علامات الاستفهام بدلاً من العنوان دون أن تفسر سبب أو مغزى ذلك.

عند تصفحي للديوانين وجولتي في حدائق نصوص الشاعرة فريال بشير الدالي عبقت عطور رياحينها فوّاحة تشدني إليها، فعانقت روح الشعر وطوفت معها بين ثنايا تلك القصائد الرقيقة فاستوقفتني قصيدتان الأولى «ليبيا» من ديوانها الأول (محاولة لصف ازدحام)، والثانية «شيء منك ليبيا» من الديوان الثاني (أتقفى آثار عطرك) ليس لضعف أو سلبية أو رداءة بقية النصوص الأخرى ولكنني أؤمن بأنه عندما تحضر «ليبيا» يغيب كل شيء عداها.

## 1 - «ليبيا»

بأدواتها الفنية ولغتها الرقيقة تحيل الشاعرة الخصائص الجغرافية للمكان إلى عبارات تتفوق على اللغة التعبيرية المجردة التي تكتب بها تضاريس الجبال والسهول والصحارى والمناخ، وتنحاز طواعية للشعر بمروجه وأزهاره المتفتحة، فتجعل من مقطعها الأول المتكون من ثمانية أسطر بوابة تتمادى إلى أفق بمعناه اللغوي القريب ومدلوله اللفظي البعيد.

**(متنامية الأطراف**

**تستلقي في دعة**

**على مروج قلبي،**

**بأزهارها ...**

**الدائمة التفتّح**

**تنبت في النظر ...**

**عشقاً بلون الأزل**

**لتمتد إلى ما بعد الأفق)**

إثره مباشرة يأتي البوح والتمني في إحدى عشر سطراً يختلط فيها الإعلان والنداء والدعوات والأمنيات الجميلة التي تتشكل بدفء الشمس ودروب القلب ومباركة الخالق وجمال التوحد بين أحلام الإنسان وعطايا الوطن، في استنتاج بأن هذا التفاعل لا يكتمل إلا بالحمد والثناء والشكر.

**(بلادي والسحر يسكب دروباً أخرى**

**ليباركك الخالق**

**ليبيا**

**أوتادُ الوجود**

**المتعاضدة ... المتزايدة،**

**حين تدحرج الشمسُ دفئها**

**عبر خيوط اقترابها،**

**لتتأرجح بلا عد، مباهج التوحد**

**ويسافر فيك الحلم**

**ويزداد القلبُ من عطاياك**

**شكراً لك ليبيا)**

بشيء من التوغل في ربوع الوطن وأقاليمه الجغرافية تختار الشاعرة أن تتجول بنا في الصحراء لتلفح سمرتنا سيوف الرمل وهبات الرياح المغبرة فتذوب أعماقنا في عسل الصحراء/الوطن :

**(صحراؤكِ...**

**وريحك التي تسفُّ صحراءك العسل،**

**فينزف الرمل راقصاً**

**إلى مكان آخر ... خاطري)**

وفجأة تترك الشاعرة جنوب الوطن لتتجه صوب شماله في عناق متواصل مع البحر وشواطئه وصخوره، لتخدرنا نسائمه فنبرأ من كل العلل ويتوارى السقم بعيداً عنا وعن وطننا الحبيب:

**(بحرُك ..**

**حجر يتشكل بكل اعتباط**

**أي دواء سحري هذا الهواء ..**

**وهو يعبث بملامحي)**

وبعد هذه الرحلة الممتدة من أقصى الجنوب إلى أعلى الشمال يأتي النداء الصريح مفعماً بالحب والوله والعشق والحيرة والقلق التي تنتاب الشاعرة التي تحس بأنها تسمو وتفيض بمشاعرها الوطنية فأصبحت تطاول السموات العلى وربما أبعد من ذلك، فأرسلت تساؤلها وتوجسها في مناداة للقلب الكبير ليبيا، تبثها ذاك الاضطراب والاستفسار داعية لها بالعيش الأبدي:

**(أيها القلب الكبير:**

**أمازال فيك متسع لي.. أنا،**

**فأنثر فيك همومي المتصاعبة؟!**

**ليبيا**

**عشتِ لنا)**

## 2 - «شيء منك ..ليبيا»

إحدى عشر سطراً تتقلك في دعة إلى فسحة ليبية تبدأ باستحضارها ومناداتها عبر التاريخ ووصفها برياحينه وعبق ذكراه التليدة.

**(يا عرق التاريخ**

**الذائع بالمسك والعنبر)**

والتأكيد على أن مجرد الإحساس بالوطن هو ارتفاع ذائقة التلذذ، والتباهي بالفرح والفخر بالانتماء إليه رغم الشعور بأن حالة الانتشاء الغامرة بالسعادة تبدو جريحة لدواعي وأسباب عديدة، تحضر في العقل والقلب ولكنها تتوارى في النص كما نسجته الشاعرة.

**(ذكرك**

**يبعث في فمي طعم السكر**

**يُفعمني برائحة النارنج**

**يقلّدني وسام سعادة جريحة**

**يَسِمُني بالطهر)**

تتعدد أنواع وأشكال المسرة التي تبعثها ليبيا الوطن في أعماقنا، فالعشق المتربع في أركانها وعبر كل مساحتها، والسجلات والكتابات التي تنحت تاريخها المجيد المعتق بالفخر والبطولة... كل ذلك هو ألوان وأشكال متعددة للبهجة والفرح الذي تمنحه ليبيا لنا بلا حدود:

**(عشقك المترامي**

**كتابُك المفتوح على النظر**

**بالنور المشع بين صفحاته**

**يشي بالفرح)**

إن اللغة الشعرية عند فريال بشير الدالي لا يمكن تجاوز أو إغفال صورها التعبيرية الخلابة التي لا أدعي أنني قد استوفيت لها حقها هنا ولكن ما استهدفته من هذه الإطلالة الانطباعية القصيرة هو قراءة تعريفية بسيطة لتحيتها اعتزازاً بنصوصها عن بلادنا «ليبيا» الحبيبة التي لن نكفيها حقها مهما رسمنا من حروف أو عبارات أو ... دواوين.



# 6

## الشاعر علي صدقي عبد القادر

# الجلاء

## في شعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر[1](*)

يمثل الجلاء حدثاً وطنياً مميزاً في ذاكرة الشعوب التي تناضل وتكافح بكل الوسائل المشروعة من أجل نيله وتحقيقه لبسط سيادتها على مقدرات أوطانها وتحقيق سيادتها وصون حريتها. وهو سيظل ويبقى، على مر العصور، مطلباً عزيزاً على كل إنسان مخلص لوطنه، ووفي لإنتماءه وهويته وأصالته ولتضحيات الشهداء والأبطال.

وقد تناول الأدب الليبي والشعر على وجه الخصوص حدث الإجلاء كإنجاز وطني وانتصار حقيقي في الكثير من نصوصه الجميلة، ولكن يظل الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر متميزاً في التعبير عن فرحة البسطاء بإجلاء المستعمر عن تراب الوطن مجسداً الكثير من الصور والمشاهد والحوادث في أبيات قصائده الرقيقة وموثقاً للعديد من الشخصيات التي ارتبطت إما بالأضرار التي تعرضت لها من المستعمر البغيض، أو بالتضحيات التي قدمتها من أجل طرده وإجلاه. وقد جاءت نصوصه الشعرية غير مهادنة للمستعمر وحلفائه، مستخدمة الكثير من التعابير القوية التي تنادي بنهاية هذا العار الذي يلطخ تراب الوطن الغالي. وبداية من عناوين القصائد نجدها تحمل الدلالة والهدف بكل قوة لتحقيق هذا المطلب العزيز، فجاءت واضحة وصريحة جلية في تناول هذه الغاية مثل قصائده «أخرج» و«بلا رجعة» و«رماد امعيتيقه» و«ذهب تتار هذا العصر» و«فلنطرد الغربان» و«أبي والجلاء»[1].

ومن خلال قراءة واستعراض عناوين هذه القصائد التي تفصح عن

---

1 (*) صحيفة المنارة، العدد رقم 89 الصادر بتاريخ 2010/6/21، ص 5

مضمونها بكل سلاسة ومراجعة تواريخ كتابتها يتضح لنا أن الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر كان من السباقين في المطالبة بضرورة إجلاء الغاصب المحتل عن أرض الوطن، ونرى أنه لم يكتفي بتأكيد نداءاته الوطنية في نص تعبيري واحد، بل نجده يكرر هذا النداء في عدة نصوص حملت لنا مشاعره الصادقة وبغضه ونفوره ورفضه للوجود الاستعماري الذي كان يدنس أرض وسماء الوطن، ولذلك نجده يطلق عليه عدة نعوت وأسماء وصفات مثل «الجراد، التتار، الغربان، النمل، الوعول». كما أن أسلوب لغته التعبيرية في تناول هذا الغرض كان قوياً حاسماً لا يقبل المراوغة أو المهادنة في سبيل نيل هذا المطلب الوطني السامي، الذي يبعثه في أحداث إسلامية وعربية قومية واقليمية وعالمية يسخر فيها من «العالم الحر» و«تمثال الحرية» خلال توظيف معبر للأمكنة الجغرافية والمواقف التاريخية والأفكار السياسة التي ينادي بها الغرب. وهو أيضاً لا يتوقف فقط عند «امعيتيقه» الطفلة الصغيرة التي أحرقتها إحدى طائرات القوات الأمريكية حين سقطت على منزل أسرتها في سانية «الدالي» المجاورة لقاعدة «هويلس» الأمريكية بسوق الجمعة بطرابلس، كرمز وطني لضحايا القواعد الامريكية على الأراضي الليبية، بل يتجاوزها إلى استحضار شخصيات أخرى من بينهم الشهداء الذيت ضحوا من أجل الوطن في العهود السابقة، بينما خص «امعيتيقه» بقصيدة جميلة حملت عنوان «رماد امعيتيقه» سخر في بدايتها من «العالم الحر» واصفاً الوجود الاستعماري بالجراد وهو يحاكي في هذا التشبيه الأديب الفرنسي «ألبير كامو» الذي كتب رواية «الطاعون» في إشارة للاستعمار الفرنسي للجزائر. وفي قصيدته «رماد امعيتيقه»(2) يلمح الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر إلى أسلوب الحيلة والخداع والغش التي يسخدمها المستعمر لتسويق برامجه وسياساته المريبة،

ويكشف الشاعر تناقض السياسات الاستعمارية وزيفها وأكاذيبها. ولا تغيب عن الشاعر في هذا الحدث صورة أبيه وصوت الآذان وأشجار النخيل ومذاق حبات التمر ولعب الأطفال والنجوم وحكايات الجدات. كل ذلك ينسجه في بانوراما جميلة ومعبرة عن رهافة الحس وصدق المشاعر التي تنتفض حين يحطم الجراد قنديل النور ويقتل «امعيتيقه» ويتركها رماداً يتطاير في سماء التاريخ. تقول القصيدة:

**(جراد، جراد!!!**

**من «العالم الحر»، من برج ناطحة للسحاب**

**تشير إلى موطني، يد تمثال الحرية باردة**

**كجدران مقبرة، بأحراج حناء أرضي**

**لتغري الجراد، بأعين أطفالنا الطيبين**

**وعند مساء خريف**

**أتانا الجراد**

**وقد جرح الشمس، إذ صبّ في عينها سرة من دخان**

**دخان من العالم الحر، من مصنع الذرة**

**لئلا نرى السلم، في قريتي**

**ويطحن ثغر «امعيتيقه»**

**وعند الصباح، يصلى لأجل السلام**

**ويبكي «امعيتيقه»**

**بدمع كذوب**

**فتنبت أدمعه الشوق، والحنظل الكافرا**

**وتنبت ثأراً وحقداً**

●●●

جراد، جراد !!!

من العالم الحر سد الأفق

بأجنحة من غسق

بها يختنق

ومن يومها حزنت نخلة

أبي قد سقاها بعينيه، عند آذان الصباح

يباركها وهو ماضٍ إلى المسجد

مع الله في الموعد

ومن يومها لم تهبنا فصوص التمر

ولم تعطي حتى الظلال، ظلال الشجر

لئلا يذوق الجراد رحيق النخيل

ولا يتقي بالظلال الهجير

لتبقى حزينه

وفي حزنها كبرياء النخيل

●●●

وفي موطني حيث تلعب طفلة

وفي خدها نبع غنوة

تضيق أجفانها من شعاع النهار

وفي ثوبها مسبح للنجوم

تغوص به

عند صحو الصباح

وتطفو بعروته بالمساء

**فتنشرها الريح بين حقول السماء**
**وتغفو «امعيتيقه»**
**على قصص الجدة الحانية**
**وتنهض، في خطوها يستفيق الربيع**
**وتقرع صنج مدائن ... تبدو بعيدة**
**مسورة بمواويل، زرق الحواشي،**
**ببوح بنفسجة حالمة**

●●●

**جراد، جراد!!!**
**يحطم قنديل أم «امعيتيقه»**
**يهدم صدر «امعيتيقه»**
**ويقضي على البيت، والديك، والداليه**
**بألسنة اللهب الصاديه**
**ولم يبقى غير الرماد**
**رماد أغاني «امعيتيقه»)**

وفي قصيدته «اخرج» [3] التي جاء عنوانها قوياً يعبر عن المشاعر الحقيقية للشاعر في رفضه للتواجد الاستعماري على أرض وطنه وصرخته في وجه الغاصب ... أخرج .. في لهجة معلنة وهادرة تطرده من أرض الوطن وتذكره بجرائمه الشنيعة من قتل وسرقة اقترفها في حق أهل الشاعر وجيرانه وهي إشارة إلى كل الليبين الذين تأذوا من وجود الاستعمار البغيض. كما نلاحظ أن الشاعر لا يكف عن تهديد المستعمر وطرده مصرحاً له بأن رحيله يمثل مبعث فرح ومسرة وإعلان عن بداية أعراس الوطن تعبيراً عن فرحة الإجلاء. يقول

المرحوم علي صدقي عبدالقادر في قصيدته «اخرج»:

**(من داري، أخرج من داري**

**أخرج محفوفاً بالعار**

**يا قاتل أبوي وجاري**

**يا سارق وطني المعطار**

**لي عندك يا عادي ثاري**

**خذ مني طلقات النار**

**في قلبك مهوى الأوزار**

**هيا أخرج**

●●●

**هيا أرحل، وأنزل أعلامك**

**خذ نعلك، حرك أقدامك**

**وأحمل عكازك، أزلامك**

**إنّا أنهينا أيامك**

**أرفع عن وطني إجرامك**

**مقهوراً، شئنا إرغامك**

**انظر، حطمنا أصنامك**

**هيا أخرج**

●●●

**هيا أرحل بارح أقداسي**

**فوجودك يخنق أنفاسك**

**وظلالك تؤلم إحساسي**

**برحيلك تبدأ أعراسي**

**أخرج أو حطمت بفأسي**

**رأسك، يا شرّ الناس**

**وسكبت دماءك في طاسي**

**هيا أخرج.)**

أما قصيدته «**بلا رجعة**»[4] فقد تميزت بشكل متجدد دأب الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر على ابتكاره في الشعر الليبي الذي يعتبر هو أحد رواد الحداثة والتجديد فيه. فقد كان استهلال القصيدة بخطاب الأمر موجه للجموع، للجماهير، لكل الناس، بإبعاد وطرد وتشريد المحتل واصفاً إياه بأنه «حفار القبور، تاجر موت وشرور، وسارق الأكفان، مسلوب الضمير، هادم الأوطان، جلاد حقير، جاحد للحق والعدل، كفور، خانق الأحرار، قتّال الأسير، سفاك خطير، الوحش الهصور». إن الشاعر يستنهض الهمم والعزائم لتحقيق الإجلاء معززاً هدفه بكل الصفات الذميمة والأعمال الشنيعة التي ما انفك المحتل على القيام بها في حق الوطن وأهله.

وقد جاءت هذه القصيدة في خمسة مقاطع يتكون كل منها من ثمانية أسطر بناها الشاعر بنفس الشكل المتجدد الذي اعتمد على النداء المتكرر بالتنكيل بالمستعمر في كل مقطع مبتدئاً بثلاثة أفعال تطالب في المقطع الأول بالإبعاد والطرد والتشريد والثاني بالترويع والدفع والإسماع، والثالث بالزلزلة والإنزال والتحويل، والرابع بالملاحقة، والإحراق، والسحق، والخامس بالإخبار والتذكير والإشعار». وهذا بعض ما جاء بالقصيدة:

**(ابعدوه**

اطردوه

شرّدوه

إنه المحتل حفّار القبور

إنه تاجر موت وشرور

سارق الأكفان مسلوب الضمير

هادم الأوطان جلاد حقير

جاحد للحق، للعدل، كفور

خانق الأحرار قتّال الأسير

إنه المحتل سفاك خطير

هو الاستعمار والوحش الهصور

●●●

روعوه

ادفعوه

اسمعوه

عد أيا غاصبٍ من حيث أتيت

وأجلُ عنّا إنك الآن انتهيت

غيرُ مجدٍ سفح دمع إن بكيت

طالما في أرض أجدادي بغيت

وبأوراق الجنيهات اشتريت

ذمما خانت فأهوت إذ هويت

نحن هدّمنا الذي أنت بنيت

ذق هوان الطرد منا، أرأيت؟؟؟)

وفي قصيدته «وذهب تتار هذا العصر»[5] التي يصفها بالحكاية ويستهلها بوسم المحتل بالتتار، ويقصها بأسلوبه الشيق الرقيق الذي لا يخلو من التهكم والسخرية من رموز الاستعمار وأذنابه. ويوظف سرده الدقيق بالتوغل في إبراز سلوكيات المستعمر وعاداته وممارساته المشينة وعاداته الإجرامية. ويضمن الشاعر قصيدته «الجولف، النبلم، الدولار، تمثال الحرية» حيث يستعيرها من ثقافة ورموز المحتل ليوظفها في مضمون نصه الرائع، الذي يختتمه بصورة جميلة يكرر فيها استحضار وجه أبيه الذي وعده بالحضور للمشاركة في الاحتفاء بإجلاء الغاصب إلا أنه يستذكر أن أباه في رحلة طويلة بعيدة لا رجوع فيها. فيمضي الشاعر إلى قبر أبيه ويرسم بكل بلاغة لحظات الفخر بالوطن والوفاء للشهداء. تقول بعض أبيات القصيدة:

**(حكاية أبطالها، «تتار» هذا العصر**

**جاؤوا إلينا، حاملين تحت قبعاتهم مسدسات**

**وفي الجيوب، حزمة الدولار، والأفيون**

**و«رقعة المعاهدة»**

**أتوا لأرضنا لكي يحركوا الشطرنج في الظلام**

**يجففون في الهواء، حبر رقعة المعاهدة**

**ويصرفون الوقت في رمي السكاكين، ليتقنوا الرماية**

**ويقذفوا بها المواطنين، عابري الطريق**

**فالقتل عادة لهم، كلعبة «الجولف» وكالتدخين، كالقمار**

●●●

**وينهض «التتار» رافعين قبعاتهم**
**عن أعين، محشوة: «نابلم، طائرات»**
**ويرحل «التتار»**
**لم يتسطع ربهم «الدولار»**
**أن يقتل الثورة، أو يخدع الثوار**
**لأنهم «تتار»**
**عادوا الحياة، والشعوب، والسلام**
**قد صلبوا «حرية التمثال في نيويورك» يا للعار**

●●●

**ها قد جلوا، لكن وجهاً لم يجيء، ماذا يكون؟؟؟**
**أوعدني من قبل أن يجيئنا عند الجلاء**
**نسيتُ عفواً، أنه برحلة بعيدة**
**وسرتُ نحو المقبرة**
**وصحتُ عالياً: أبي، أبي، تحقق الجلاء**
**وعندها تعلو من الضريح زهرة لها يدان**
**تضمني، أضمها، أحس بالأمان**
**تمر كف والدي بجبهتي، كما ألفتُ من زمان**
**أبي لماذا لم تعد ... وأسمع الآذان:**
**الله أكبر، الجلاء، والسلام)**

وجاءت قصيدة «**فلنطرد الغربان**»[6] في شكل قصة ترسم طبيعة الحياة الهانئة والهادئة والعلاقة الوطيدة التي تربط الإنسان بأرضه

ومزرعته وما عليها من بئر ماء ونخيل وزروع. إن الشاعر صور التناسق الطبيعي بمفردات البيئة فجاءت تعبيراته صادقة وواضحة تبرز للمتلقي قوة ومتانة الروابط بين الإنسان ووطنه، وكيف أفسدت «الغربان» وهو نعت أطلقه الشاعر هنا على المستعمر الذي يحتل أرضه، الحياة ودنست الأرض وزرعت الرعب والقتل والدمار في الوطن، وعلى إثر ذلك انتفض الإنسان الشاعر وصرخ منادياً ... «فلنطرد الغربان» ولاقت هذه الصرخة استجابة وتحقق هذا المطلب الغالي.

**(مضى يوم لنا بئر، ودلو يعشق البكره**
**يدغدغها، فتملىء حقلنا ضحكاً**
**ويمضي الدلو بين البئر، والبكره**
**ليشحن بالهواء والضوء، ماء البئر بالقطره**
**وكانت عندنا بالبيت أمي، أمنا النخله**
**تطول، عند الليل، حتى تبلغ الفجرا**
**لتأتينا بإصباح جديد، بكرٍ، لم يطلع**
**على الدنيا**
**وفي إحدى ليالي الصيف، لم تتطاول النخله**
**ولم ترحل كعادتها، لتأتينا بإصباح**
**طوال العمر، تقضي الليل في رحله**
**لتأتينا بيوم، قبل لم يولد،**
**وظل الليل لم يبرح**
**وجاءت بعض غربان**
**وجرذان**
**فجف البئر والنخلة**

**والحقل الذي نزرع**

**لأن اللعبة السوداء للموتى هنا تصرخ**

**بها الغربان جائتا**

**لتكشفنا، أمام ضميرنا، والأرض، والدنيا**

**لتجعلنا مخازن، للردى للعار، للشر**

**لتجرف كل إنسان، إلى الهوه**

**وتحرث قلبه، بحثاً عن العزه**

**لتكسرها**

●●●

**لأن الأرض صارت مخزناً للموت، للعار**

**ولم تنبت كعادتها لنا قمحاً**

**ولا زهراً**

**إلى أن نطرد الغربان من بلدي**

**ونكسر لعبة الموت، التي تعوي**

**سنخرجهم**

**وتنبت أرضنا قمحاً)**

من أجمل قصائد الجلاء في الشعر الليبي عامة والتي استمتعت بها هي قصيدة «**أبي والجلاء**»[7] للشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر حيث يصور لنا مشاعر الأحياء على الأرض والأموات في قبورهم تحت الأرض، وفرحتهم معاً بإجلاء المستعمر الغاصب لأرض الوطن في أجواء لا يغيب عنها التشويق ولا اللغة الرقيقة الحالمة التي توثق اللحظة وتنقش التاريخ بروح الصدق والحب. وإنني إذ

أقدم هذه القصيدة للقاريء الكريم بدون أية توطئة أو تقديم فمرد ذلك هو إيماني بأن قراءتها لا تسعها مقالة قصيرة بل تحتاج إلى دراسة متأنية تفصص جملها وعباراتها وتسبح في خيالاتها الوطنية والإيمانية العميقة التي جسدتها سور القرآن الكريم التي ضمنها الشاعر ومجموعة التساؤلات التي أفرزها النص وأطلقها في فضاء الشعر والوطن. أترك للقاريء الكريم قصيدة «**أبي والجلاء**».

**(حملت في يدي فرحة الجلاء**

**حملتها، وسرت مسرعا إلى أبي، بقبره**

**لأنه عند إحتضاره، أصر أن أجيئه بفرحة الجلاء**

**وقال إنه بقبره يظل يسمع الأخبار**

**ويقرأ الأشعار**

**منتظرا أجيئه في كل يوم، عندما يشقق النهار**

**لذاك سرتُ في الصباح، حاملا على يديّ، فرحة الجلاء**

**ألقيتُها على تراب قبره، ففاض بالزهور**

**وبعد لحظة، تحولت إلى طيور**

**وشكّلت غمامةً، تهطل بالمطر**

**وأنبتت سنابل القمح، على الضريح**

●●●

**سمعتَ صوتاً جاءني من البعيد، أعرفه**

**يتلو من القرآن، سورة: البروج، والفلق**

**أعرفه، الصوت الذي في ضحكتي، في دمعتي، وفي دمائي يلتهب**

**أعرفه صوت أبي، أتى من الأبعاد، طيراً عائداً**

أتى كما تجيء أوراق النبات، في الربيع
أتى كقطرة المطر
يقول لي: والآن جئت بعد الانتظار
هل خرج النمل الذي قد أتلف الحقول ؟؟؟
هل خرج الوعول؟؟؟
كم أشتهي أني أعود للحياة من جديد، يا بُني
كي أكتب الفرحة بالجلاء، فوق سعفة النخيل
أكتبها في دفتري القديم
في دفتري، الذي تركته ببيتنا، قبيل ساعة الرحيل
كم أشتهي أني أعود للحياة، مرة أخرى إلى الحياة
أوزع الحناء، والحلوى، على كل الصبايا بالوطن

●●●

وبالمساء كانت الحناء، والحلوى، على الضريح
شممتها، لمستها، وعدتُ حاملاً على الثياب، صوته العميق
وفي الصباح، كانت النسوة في أكفهن حمرة الحناء
وقلن لي، عند لقائهن بالطريق:
أباك جاء ليلة الجلاء، بالحلوى، وبالحناء
أضاء قنديلاً بكل بيت
تحية الجلاء.)

وفي الختام فإن الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر لا يزف التهانيء بالجلاء لأبيه فقط في قبره دون غيره من الشهداء، بل

يمضي ليبعث أيضاً شهداء الاحتلال الإيطالي في معركة «الهاني» ليزف لهم التهاني بالجلاء وتحقيق هذا النصر بعد سنوات طوال، كما يورد في قصيدته «دماء تحت النخيل»[8] التي يقول في أحد مقاطعها:

**(يا شهيد (الهانِ) نم تحت عراجين النخيل**
**حيث تنساب السواقي بين هاتيك الحقول**
**عند جذع النخل، تحت السعف الحاني الجميل**
**هو ذا النخل الذي في حبه كنت القتيل**
**نم هنيئاً هادئاً، يحبوك بالظل الظليل**
**لم يعد في (ليبيا) من قاتلته، ذاك الدخيل**
**نكست أعلامه، وارتد في خزي الذليل)**

لاشك أن هذه النصوص الجميلة تحتاج إلى دراسة تحليلة ونقدية متعمقة تنقب وتفتش عن المزيد من الدرر والومضات الجميلة التي احتوتها لإبراز العلاقة المتجذرة في روح الشاعر المرحوم علي صدقي عبدالقادر بوطنه ونضاله المتواصل عبر عقود من أجل المطالبة بحق الجلاء والظفر به. كما أن هذه النصوص تستحق أن نبحث في ثنايا مفردات لغتها الراقية وتعبيراتها البلاغية الرقيقة وموسيقاها الآخاذة التي أتسأل كما تساءل الشعر نفسه على الغلاف الخارجي لديوانه «الكلمة لها عينان»: من أين تأتي هذه الكلمات؟

**مراجع:**

1 – علي صدقي عبدالقادر، الاعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، الطبعة الأولى، 1985.

2 – المصدر السابق نفسه، ص 299

3 - المصدر السابق نفسه، ص 47

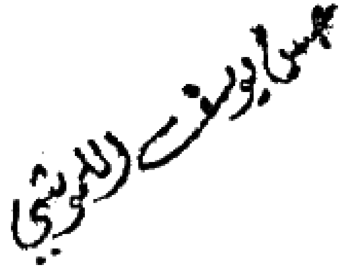
4 - المصدر السابق نفسه، ص 51

5 - المصدر السابق نفسه، ص 445

6 - المصدر السابق نفسه، ص 557

7 - المصدر السابق نفسه، ص 591

8 - المصدر السابق نفسه، ص 71







# 7

## الشاعرة حنان محفوظ

# الحُلم في «زَهرةِ الرِّيح»[1](*)

«زهرة الريح» هو الديوان الأول للشاعرة حنان محفوظ والذي صدر مؤخراً عن وزارة الثقافة والمجتمع المدني، متضمناً ثمانية وأربعين نصاً تميزت برقة التعبير والصورة الشعرية المكثفة والموسيقى الشجية المنبعثة من أركانها في تماوج بين العزف على نسائم الفرح وهواجس النفس القلقة. كتبت ونشرت الشاعرة هذه النصوص الشعرية الرقيقة على مدى خمسة عشرة سنة من العطاء الإبداعي، حيث ظهر أقدمها بهذا الديوان بعنوان (قطرة من هوى) مؤرخاً في 1994/12/27 بينما أحدثها كان (مكحلة) بتاريخ 2009/6/3.

ومن خلال استعراض عناوين قصائد الديوان نلاحظ أن تركيبتها البنيوية تعددت وتنوعت بين الاسم والفعل والسؤال والجملة وشبه الجملة، وقد غلبت عليها الكلمة المفردة الواحدة، وظهرت متسلسلة كالتالي: (قطعة سكر)، (طيور الرماد)، (زهرة الريح)، (إحتفاء)، (رحلة الحلم)، (طفلة الشمس)، (إكتناز)، (إلى قلبي المتعب)، (ترتاد البحار بدون رجعة)، (كلمة)، (مستقيمة كل الخطوط)، (قطرة من هوى)، (وحيدة)، (سلام الفصول)، (ليال)، (محاولة)، (زهرتان)، (مطر.. ليل..شوق)، (وهج)، (يا صديقي)، (كنتُ مع الحلم)، (القمر أعطاني بنفسجة)، (وسادتي)، (لك)، (تساؤل؟)، (لمَ الحزن؟)، (زينب)، (حاء على الرمل)، (أنين)، (رسائل الضوء إلى قلبي)، (أحلامٌ قاتمة)، (شيء آخر هو الحلم)، (قصاصات

1 -(*) نشرت بصحيفة «فبراير» اليومية الصادرة عن هيأة دعم وتشجيع الصحافة، العدد رقم 128 الصادر بتاريخ 22 أكتوبر 2013، صفحة 19

حلم)، (تعريفات)، (الطوفان)، (وجع)، (لسع النحلة)، (قمر يضحك)، (بقايا الطريق)، (جرحت لحظي)، (خاب رجاؤك)، (الشمس تشرق داخلي)، (غواية)، (غيمة)، (دورة القمر)، (خوف)، (مكحلة)، (عاصفة).

أما مواضيعها فقد شملت تسجيل المشاعر نحو الأحبة والأصدقاء ومناجاة صور الطبيعة والأمكنة وتوثيق بعض اللحظات والمناسبات المميزة، وهواجس وأسئلة المونولوج الداخلي. كما لامست أيضاً الشأن الشخصي فغاصت في الوجدان الذاتي وظلت محتفظة بمفاتيح تلك الجوانب الشخصية، ماعدا نص واحد باح بكل ما فيه من حزن وآسى على فراق زميلتها الصيدلانية المرحومة زينب الساعدي التي نالت بشكل استثنائي إهداءً خاصاً قصيراً وقعته الشاعرة على رأس قصيدتها التي حمل عنوانها (زينب) اسم الصديقة نفسها قالت فيه (زينب صديقتي التي تركت حرقة في قلبي برحيلها يوم 2002/12/29)، وخلاف ذلك فلم تحمل قصائد الديوان أية إهداءات خاصة أو عتبات أو نصوص موازية إثر الإهداء الرئيس والوحيد الذي تصدر الديوان على صفحته الخامسة وتقول فيه (إلى زهرة بن شعبان أمي، إلى محفوظ حسن أبي، والداي اللذان علّماني الحرف ومعنى الشعر، وكانا دفاعاً وسنداً).

وحول سبب اقتباسها عنوان الديوان من إحدى نصوصها الجميلة المنشورة به وهو «زهرة الريح» تبرر الشاعرة حنان محفوظ ذلك بقولها (هو النص الذي عُرفتُ به في الوسط الثقافي...وأكيد لأن له وقع خاص لدي) وهي وإن لم تفصح كثيراً وأبعد من ذلك عن الوقع الخاص، فإنها تضيف قائلة (كنتُ حائرة أسميه "اكتناز" أم "زهرة الريح"، ولكن لأن نص "زهرة الريح" هو الأقدم.. فأطلقتُ عليه "زهرة الريح").

وتعد قصيدة "زهرة الريح" من النصوص المتوسطة في الديوان نسجت في ستة عشرة سطراً مقارنة بأطول النصوص "تعريفات" الذي جاء في ثمانية وعشرين سطراً، وأقصرها "احتفاء" في ثلاثة سطور. وقد استهلت الشاعرة نصها "زهرة الريح" بتعبير مبهج يوشي بغبطة ومسرة الحياة في ظل حرية اتخذت لها الطيور والعصافير نموذجاً وهي تسبح وتمرح في فضاء الحب:

**(طيور القلب تحررت**

**تشكلت عصفورة قلبي)**

وبعد رفرفة الأجنحة ولغة الشوق وألوان الدهشة والعين الساهرة وسفر الليل تختتم الشاعرة قصيدتها "زهرة الريح" بتفجير مفاجئ يباغث القارئ:

**(تنمو داخلي زهرة الريح**

**كبالون ألوان**

**وعند أول زخات فرحك**

**تنفجر ..)**

**الحلم في "زهرة الريح"**

لا شك أن الحلم والخيال واللغة هي العناصر الأساسية لبناء الصورة البلاغية في الأجناس الأدبية كافة. والشاعرة حنان محفوظ لا تختلف عن غيرها من المبدعين والمبدعات في هذا الجانب، إلا أن الحلم له حضور مميز في ديوانها، ويبدو أنه يشكل محركاً أساسياً في حياتها اليومية ومستقبلها، وملهماً واضحاً لإبداع نصوصها الرقيقة،

التي ترتكز على لغة مكثفة وسليمة نحوياً، وتغيب عنها المفردات الشاذة الغريبة، والأسطورة والشخصيات والمواقف التاريخية، والعبارات الكلاسيكية، والاقتباسات المختلفة، حيث نجدها تنحاز كلياً إلى لغة تتأسس على تركيبات وجمل قصيرة معاصرة بسيطة في بنيويتها، تعزف موسيقاها الآسرة بكل تلقائية حتى أن صدى تلك الأنغام الشجية الظاهرة والخفية تسبق حروف وجمل القصائد وهي تتهادى بأريحية جذابة، لتفرش بساط الاستقبال للقاريء الذي يظل مستسلما لها.

ظهرت كلمة "الحلم" بشكل مفرد بارز في أربعة عناوين من قصائد الديوان وبصورة الجمع في عنوان قصيدة واحدة فقط. وعند إعادة ترتيب هذه القصائد الخمسة وفقاً لتواريخها المنشورة نجدها كالتالي:

1 – (رحلةُ حلم)

2 – (شيءٌ آخر هو الحلم)

3 – (قصاصاتُ حلم)

4 – (أحلامٌ قاتمة)

5 – (كنتُ مع الحلم)

وبمتابعة الحلم في هذه القصائد الخمسة نجده لا يكرر نفسه بصورة تقليدية، بل يتطور وفق الصورة التعبيرية التي تنسجها الشاعرة لكل نص. ففي النص الأول "رحلة حلم" تتقمص الشاعرة شخصية راوية قصة رحلة الحلم التي أركانها الليل، والسهر، والقمر، والصمت، والحب، والضياء. ثم ينقلب المناخ السائد في هذا النص:

**(وفجأة**

**انقشع الحلم**

**ورحل الليل**

**وظل القمر معلقاً**

**نرفع هاماتنا للنظر إليه**

**لننعم بنوره)**

أما في النص الثاني "شيء آخر هو الحلم" الذي تستهله الشاعرة بنفس كلمات العنوان، تقدم فيه سرداً تعريفياً مباشراً ووصفاً لآلية وسلوكيات الحلم ومآله الذي ينتهي إليه فتقول:

**(شيء آخر هو الحلم**

**لا نملكه**

**يمتلكنا**

**يفي بوعوده**

**ثم يخلف**

**يتقمصنا**

**كشعوذة الكلمات**

**ثم يندثر**

**نبحث عنه**

**فنجده حلماً)**

أما في النص الثالث "قصاصات حلم" فنجد أنفسنا أمام نص مكثف ينسج الحلم كاختصار للعلاقة مع الحبيب وسطوة الأحزان لتملك الحلم ذاته، إضافة إلى أنه يبوح بتفاعلات تداخل أحلام المحبين.

**(تحرضني**

**أحزاني**

**على امتلاك الحلم**

**وعندما أعقد العزم**

**تصادره أنت).**

وأيضاً يصف النص حالة المحبين والعشاق وما يشتركان فيه من مشاعر وأحاسيس وأحلام:

**(كلانا مسافر**

**وأنت نصف الزمن المعتم**

**ألوان أحلامك بدمي**

**وتتلاشى أحلامي بين عينيك).**

أما النص الرابع "أحلام قاتمة" فقد جاء غامضاً. تقمص الحلم فيه سوداوية وهواجس تفاعلات الشاعرة التي عملت على عدم كشف خبايا خيوط الحلم، ونسجت صراعاً بين بعض المتضادات مثل (الموت والحب) و(اليمين واليسار) و(تزهر وعشباً يبساً) فكانت المحرك الذي سجل نتيجته في خاتمة النص:

**(فأنبتُ عوسجاً في حلق الحقيقة**

**بينما تزهر الحقيقة داخلي**

**عشباً يبساً..)**

أما النص الخامس "كنتُ مع الحلم" والذي احتل التسلسل الأخير نظراً لأنه لا يحمل تاريخا لنشره، فهو يختلف عن النصوص الأربعة السابقة من حيث نفسه الشعري الذي يعد الأطول بينها، وكذلك

أجواءه المفعمة بالفرح والابتهاج كونه يصور لقاء رومانسياً مع الحلم، وهذا بلا شك يمثل قمة الإمتاع حين يجتمع أو يلتقي الواقع المجسد في الذات الشاعرة مع الحلم المعبر عنه في الخيال، وما يمنحه هذا الفضاء من حضور لصور الخيال المتعددة وجمالية التعبير عن الموقف. إضافة إلى أن إيقاع الموسيقى الرقيقة للنص قد ساهم في نقل الصورة العامة بكل بتشويق وجاذبية منذ استهلاله:

**(كنتُ مع الحلم**
**أنهل من فيض عينيه**
**يسقيني حتى التعب**
**أشدو ملامحه**
**أغني الفرح**
**أترنم بزفرات منه**
**هي من دمي**
**أدور حولي .. أدور حوله)**

ويستمر التصوير في تعبير رقراق وانسيابية جميلة:

**(ينضمني**
**يضمني إليه**
**في لحظة هائمة)**

وللتعرف عما تفعله هذه اللحظة الهائمة أثناء التقاء الحلم تنقل لنا الشاعرة تجربتها وتخبرنا:

**(أحترقُ بمطر السنينْ**
**أنصهر بلهب الحنينْ**

يسكنني الشفقُ

والشمسُ تشرقُ

في كل حينْ)

وتواصل تصريحها:

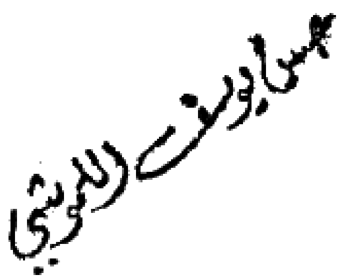
(أنحني للورود الحمراء

انحناءة عابد

وكفِّي تغزل أشواكها

وقلبي ما يزال مع الحلم)

لا شك أن "زهرة الريح" باكورة إنتاج الشاعرة حنان محفوظ زاخر بالعديد من النصوص الرقيقة الأخرى التي تتأسس على الحلم في تصويرها وبناء متونها الداخلية، ولا يقتصر ظهوره في عناوينها فحسب، وهو ما يجعله جديراً بالقراءة النقدية المنهجية المتقدمة التي تغوص في قصائده لدراستها وفق الأسس النقدية المواكبة لتطور الشعر الحديث وعوالمه المبهرة. وفي كل الأحوال فإن "زهرة الريح" يظل يشكل إضافة لإثراء المشهد الشعري النسوي خاصة والمشهد الشعري الليبي عامة.





# 8

## الشاعرة تهاني فرحات دربي

# (يُعريدُ بك)... موطنُ الأسئِلة

تقودك الكاتبة والشاعرة الرقيقة الأستاذة تهاني دربي بداية من عنوان الديوان إلى دروب وفضاءات عديدة تستوعب كل الأسئلة أو التساؤلات المتراكمة في أعماق القلب أو الدائرة بمحركات العقل، مما يتيح لك التحليق على صهوتها بلا حدود صوب كل الأمكنة والقلوب التي تختار، أو التفاعل مع مضامين الحياة كافة بالصورة التي تحب.

(يعريد بك)... هاتان الكلمتان رسمتا عنوان الديوان الصادر عن مركز ليبيا الوطن للإعلام والذي حمل خلاصة مشوار الأستاذة تهاني دربي مع الشعر كما تقر الشاعرة نفسها بذلك من خلال إهدائها الذي يتصدر الديوان وتقول فيه (هذه خلاصتي) وتقدمها هدية لابنها الأجمل (أهديها لك أسامة. ابني الأجمل).

وقد حمل الديوان ثلاثةً وخمسين نصا كالتالي: سارق الدفق، محاولة، مباحة، وهق، فراش الصمت، يسرج على الريح، أستبيح كنهي، أنا هي.. هي أنا، طرابلس، غواية، مقاومة، نوافير، غمام، برفق، أكذوبة، هطول، حلول، هذيان، يوسف، وتر المعتاد، عناد، ثعبان، ذنب، حضور، خلاص، وسادتي، غياب، يعريد بك، ؟؟؟؟؟؟؟؟، كالذئب، هاني، انشطار لتؤم قديم، مواربة، عطش، أرضك يا زيوس، تماهي الشجر، تختلف، أدران، أزرق، قصيدة، بحر، ليلة، عشق، مقاومة، وطأة، اليد، تحية، تراص، بكاء، لذة، المرايا، أحدهم، حنكة.

وعند استعراض هذه العناوين المتنوعة نلاحظ أنه غلبت على تكوينها البنائي الكلمة المفردة التي تنوعت بين الاسم الشخصي

للمذكر المفرد مثل (يوسف، هاني) واسم المكان (طرابلس) وهي المدينة الوحيدة التي نالت شرف السكن بالديوان، وأيضاً اتخاذ الشاعرة لعلامات الاستفهام (؟؟؟؟؟؟؟) عنواناً صريحاً لأحد نصوصها. كما جاءت بعض العناوين مركبة في شكل جملة فعلية مثل (يسرج على الريح) وشبه جملة مثل (كالذئب) وجملة اسمية مثل (انشطار لتوءم قديم)، وأخرى تستحضر الأسطورة التاريخية الإغريقية مثل (أرضك يا زيوس)، إلا أن ما بدا غريبا أثناء استعراض هذه العناوين هو تكرار عنوان (مقاومة) لقصيدتين مختلفتين في نصيهما، حيث جاءت القصيدة الأولى (مقاومة) المنشورة على الصفحة الثامنة والعشرين في أربعة سطور هي:

**(تلوذ بغضبها**

**كي لا تفرش ضفيرتها**

**طريقاً**

**لمروره العابر)**

والقصيدة الثانية (مقاومة) التي نشرت على الصفحة التاسعة والثمانين وجاءت أيضا في أربعة سطور هي:

**(تتعملق في حضرتك المنغصات**

**حفلة طرد تقيمها**

**على شرف**

**عذويتك)**

ونظراً لعدم وجود تواريخ كتابة كل القصائد المنشورة بالديوان، والتي هي بلا شك تتيح للقارئ أو الناقد المتخصص متابعة تطور

النص لدى الشاعرة من خلال التعرف على تواريخ إنتاجه ونشره، فإننا لا نعرف أي النصين هو الأقدم أو الأحدث، إلا إذا اتبعنا تسلسل ترقيمها على صفحات الديوان. وحول هذا الجانب لابد من التأكيد على أن عتبات وتواريخ كتابة النصوص الشعرية تمثل إضافة ثرية وأهمية بالغة في الدراسات الشعرية والأدبية عامة لكونها تمنح الدارس أو الباحث مفاتيح عبور مهمة للولوج إلى عوالم النص الإبداعي وسيرة صانعه وظروف وملابسات ولادته.

**(يعربد بك)**

يثير العنوان في أعماق فكرك –عزيزي القارئ– الكثير من الأسئلة الاستفزازية الجميلة التي قد تفتح الشهية للنص، وبالتالي تسعى من خلالها إلى الاقتراب منه ومحاولة فك طلاسمه والتفاعل معه، فتواجهك علامات الاستفهام الكثيرة وتنهال عليك من كل صوب واتجاه لتصرخ فيك.. من ذا الذي يعربد بك؟ ولماذا؟ وما علاقة الشاعرة الرقيقة بالعربدة؟ وما هي أساليب العربدة وكيف تعرفت عليها؟ وأساساً لماذا العربدة؟ وغيرها من أساليب الأسئلة التي توقعك في شباك متاهاتها العديدة. ولكن سرعان ما تسري بين أعماقك راحة وجدانية حين تكتشف أن عنوان الديوان قد اختارته الشاعرة من قصيدتها الأطول المنشورة بالديوان (يعربد بك)، وبالتالي تخلصك من متاهات الأسئلة المقلقة والمحيرة وتسلمك لتلك القصيدة، وتتركك تتابع قراءتك الانطباعية التي سرعان ما تقودك إلى التصريح بأن الشاعرة مسكونة بالأسئلة المربكة والمتوالدة أو المستنسخة من بعضها وهي إشارة إلى تفاعل قوي يدور بين أعماق قلبها ومحركات عقلها، يفتح أمامك فضاءات شاسعة ويدعوك لمعانقة النص الشعري والاستمتاع به.

ونحن إذا تتبعنا ولادة الأسئلة في ديوان (يعربد بك) لوجدنا أنها تبدأ منذ النص الأول (سارقة الدفق) حين يفاجئك السؤال بشكله الصريح "كيف تنال الرضا وكبائرها ترقص وجـداً؟؟"، ويتواصل في (وهق) "كيف يمكن له أن يعانق؟" و"فما حاجتنا لوهق الجبال الزاهق؟؟"، وفي "يسرج على الريح" تتابع الأسئلة بشكل يوحي بقلق يموج في أعماق الشاعرة "كيف تراك ترفل على ضفاف يم المحطات؟" و"هل يتذاكى عليك الحنين فيحملك إلى هنا وأنت هناك" و"هل تقرأ خارطة وجهي وكأنك فيه"، ويتوالد بغزارة "كيف هي الدروب دون نبضي؟؟" و"كيف هي الصباحات دون فنجان قهوة يرتل نكهتي؟؟" لتنتهي في هذا النص بثلاثية "كيف؟ وكيف؟ وكيف؟».

ويكاد لا يخلو نص بالديوان من ظهور علامات الاستفهام التي تفننت وتنوعت الشاعرة في استخدامها فنجد جل الأدوات حاضرة بقوة مثل (كيف، متى، هل، أليس، لماذا، كم... وغيرها). ولا يقتصر ظهور أدوات السؤال عند الشاعرة تهاني دربي في متن النص أو وسطه أو بين ثناياه، بل نجدها أحياناً تستهل به بعض نصوصها حيث يبرز منذ السطر الأول كمفتتح للدفقة الشعرية لحظة ميلادها الأولية مثلما في قصيدتها (ذنب) حين تبدأها متسائلة: "كيف لها أن تبعد شياطينك عنها...؟" وقصيدة (غواية) التي تباغث القارىء متسائلة "أيهما؟" ومن خلال ذلك تسبح الشاعرة في فضاء الكلام مستندة على تجاذبات بوصلة المشاعر الفياضة ورغبة البوح والتنفيس من قبو الصمت إلى انهمار الكلام مما يوحي بحالة عطش وجوع وهوس بحثا عن لحظة صدق نقية لإطلاق صرخات التعبير الوجداني بكل حرية.

وبقدر ما للأسئلة من حضور باذخ في ديوان (يعربد بك) نلاحظ غياب موسيقى الإيقاع الرنان المؤثر في النفس والوجدان، سواء ذاك

الرنين المدوي المباشر المعزز بالمحسنات البديعية كالسجع والطباق، أو المعزوف الهامس أو الخافت المتواري المنبعث من فيض الكلمات وروح العبارات العميقة الدلالة. كذلك نجد أن معظم النصوص قد افتقدت صور الخيال الخلابة التي تشد وتتلبس القاريء فتستحوذ على عواطفه الجيّاشة وأحاسيسه المفعمة، لكي يظل أسيراً لها ومنتشياً بعوالمها اللامرئية ومحلقاً في فضاءاتها الجميلة الآخاذة، ونتيجة لذلك الفقدان غلبت على نصوص الشاعرة الجمل التقريرية المتتالية فظهرت كصفوف متراصة من الكلمات والتركيبات النثرية الخالية من الإيحاء والتشويق، إضافة إلى كثرة الأخطاء النحوية التي أفسدت كثيراً مناخات الشعر وأجواءه الحالمة الرقيقة.

بيّنت نصوص الديوان أن الشاعرة تنحاز إلى عوالم العبارة الشعرية القصيرة المكثفة والتي تعرف بشعر الومضة الخاطفة، والتي هي في نفس الوقت تكشف قصر ومحدودية النفس الشعري مع الاحتفاظ بموضوعية النص كاملة مثل نصها (قصيدة) التي صاغتها بدفقة شاعرة عاشقة لوطنها ومتيمة بحب قصيدتها:

**(جناحي قصيدة**
**وطن الحرية**
**حين يضيق البراح**
**على متنها نطير**
**وعلى رؤوس أصابعها**
**نحط)**

ولولا الخطأ النحوي الذي وقعت فيه الشاعرة في أول كلمة بمستهل النص لأعلنته أجمل النصوص التي وثقت علاقة الوطن

بقصائد الشعر في ديوانها. ومرة ثانية نجد الخطأ النحوي في (يعربد بك) ومرة ثالثة في (أزرق) يفسد جمالية شعرها وأحاسيسها الوطنية الصادقة. كما جاء نسيج بعض نصوص الشاعرة على هيئة أقصوصة قصيرة مكتملة الأركان مثل (أحدهم) التي لم تستطع التخلص من السؤال فازدانت نهايتها به:

**(كيف تهرب منه**

**وهو كل الهواء**

**من حولها؟.)**

وأيضاً نجد الشاعرة تستخدم أسلوب تكرار بعض الكلمات في النص للتذكير والتأكيد على المكان كما ظهر في نصها (وسادتي) الذي تكررت فيه كلمة (هنا) إحدى عشرة مرة وسجلت اعترافها في خاتمته:

**(هنا**

**أصوغ مجدي حتى تهدر روحي رضا**

**لعلي عندما أغادرها**

**لا ترعبني حاجتي**

**لكتف أبكي عليه**

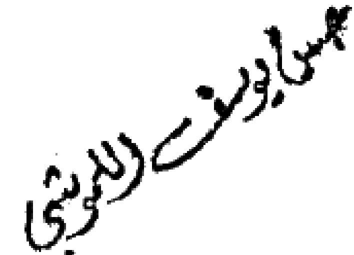
**نهاراتي الغائمة.)**

لاشك أن صناعة النص الشعري ترتكز على مقومات اللغة والخيال والموضوع، وعند حضور وتدافع الأسئلة في فكر وعقل الشاعر وتفاعلها بشكل متدفق ومتسارع تصبح ملاحقتها أمراً مأمولاً لولادة نص شعري ينقل بعض تداعياتها. والشاعرة تهاني دربي تجيد إدارة محركات أسئلتها على الأصعدة كافة وكأنها موسوعة لا تكل من

طرح السؤال تلو الآخر ونثره في وجوه قصائدها ونصوصها، وإشراك المتلقي أو توريطه في ذلك، إلا أن أدواتها الفنية والتعبيرية لازالت تنشد المزيد من العمل الدؤوب من أجل الارتقاء بها وتطويرها حتى تفوح كل نصوصها بشذاها الساحر برياحينه كما آسرني في (تحية) و(بكاء) و(لذة) و(مرايا) التي جاءت مكللة بالشعر والدفء. ولعل نصها الجميل (تراص) يختصر كل العربدة ليمطرنا بأسئلة الشعر اللذيذة ويغادرنا ولا يتركنا بلا عناء، بحثاً عن باقة من التحايا نزفها للشاعرة الرقيقة وهي تشد عقولنا نحو مدايات بعيدة وبكل عذوبة تباغتنا:

**(على الأرض يتراص جيش الأسئلة**

**فهل في السماء من يلقى عليها سلام الأجوبة..؟؟).**





# 9

## الشاعر محمود البوسيفي

## سموُّ اللغةِ وعُمقُ الصورةِ الشعريةِ في

# (لعلهَا شجرةٌ بعيدةٌ)

قبل أن أتشرف بمعرفة الصحفي الكبير الأستاذ محمود البوسيفي صديقاً فكرياً تتفاوت درجة التجاذب والاتفاق أو الاختلاف معه ومعارضته بكل روح رياضية حول الكثير من المسائل، يظل أستاذاً قديراً ومتميزاً أدينُ له بالفضل، مع أدباء وكتاب آخرين غيره، في الارتقاء بذائقتي الأدبية والصحفية من خلال ما أبدعه من مقالات وكتابات ذات نكهة مميزة سواء أثناء مواظبته على تطريز صحافة العمود بالجرائد الوطنية، أو من خلال تحليلاته السياسية والفكرية، وقراءاته التاريخية العميقة التي أبانت مبكراً عن علو كعبه في هذا المجال وحضوره المشرف على الصعيد الليبي والعربي.

كما أعتزُ كثيراً بما أسداه وقدمه لي شخصياً من تشجيع ودعم معنوي في بواكير مساهماتي الصحفية والإعلامية، ودفعه لي بالكتابة والعمل في العديد من المواقع التي تولى الإشراف عليها، بعقلية إدارية نالت احترام وتقدير الكثير من الأوفياء. وبالإضافة إلى كل هذا، فلا أحد ينكر ما يميز شخصية الأستاذ محمود البوسيفي الودودة من محبة وحميمية، وصدقية مشاعرها تجاه الروح الإنسانية لجميع الزملاء في الوسط الصحفي والثقافي، وتبنيها قيم الخير والبهجة بجميع أشكالها، ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو أيقونة شعاره الترحيبي الجميل الذي اشتهر به عند الجميع وهو "اللهم صلِ عالنبي".

وهنا لابد من الاعتراف بأنه حين أرسل لي وأهداني مجموعته الشعرية الأولى المعنونة (لعلها شجرة بعيدة)[1] فهو قد منحني بها فيوض محبته الوافرة بلا ضفاف، ووقتاً رائقاً لمعانقة نصه الشعري المفعم بالعذوبة والحكمة والدفء الذي ظل طويلاً متخفياً ومتوارياً عن الظهور أمام الحضور الباذخ لمقالاته المتنوعة سواء التي سطرها في زاويته الشهيرة (من حدائق التراب) بصحيفة «الشط» أو على صفحات جريدة «أويا» التي تولى مهمة رئيس تحريرها منذ بداية صدورها وحتى قبيل توقفها نهائياً بفترة قصيرة.

(2)

يعتقد البعض أن علاقة الأستاذ محمود البوسيفي بالنص الشعري قد ظهرت أثناء مشواره الصحفي والإبداعي متأخرة وحديثة العهد وربما وليدة الظروف الراهنة، ولا يعرفون أنه عانق هذا الجنس الإبداعي منذ مراحل تكوينه وبداياته الأدبية الأولى، وقد سعدتُ كثيراً بمطالعة بعض نصوصه الشعرية المبكرة التي نشرها الأستاذ الصحفي سعيد المزوغي بمجلة (كل الفنون) في منتصف سبعينيات القرن الماضي حين كان أميناً لتحريرها، وفي تصوري فإن تلك الفترة البعيدة لا يمكن تجاوزها أو إغفالها عند قراءة وتتبع مسيرة النص الشعري عند محمود البوسيفي، بل لابد من الرجوع إليها باعتبارها إرهاصات الاهتمام والافتتان الشعري المبكر، والتأكيد على أنها البذرة الأساس التي أنتجت مجموعته الشعرية الأولى (لعلها شجرةٌ بعيدة).

1-لعلها شجرة بعيدة، محمود البوسيفي، شعر، دار الرواد، طرابلس - ليبيا، الطبعة الأولى، 2017

(3)

لقد نشر الأستاذ محمود البوسيفي نصه الشعري (خطوطٌ بنفسجيةٌ على جسدِ المسيح) الذي يهديه (إلى الشاعر الإنسان أمل دنقل) سنة 1975 بمجلة «كل الفنون» ويستهله قائلاً :

**(وطني والمساءُ الحزينُ ... القادم**
**عبر الكهوفِ الموحشة ..**
**والعوسج الملعون .. وخروج الصباحِ**
**الميت خارج دوائر ... اللعبة ...**
**.. والسنين العجاف ..**
**تحسبني رقماً ... يا وطني ... تحسبني**
**جيفة .. تحسبني ماضٍ أليم ..**
**و.... تحسبني يا حبيبي سهلاً مقفراً**
**وأني ... وأني ... وأني ...**
**ولستُ يا وطني سوى أقحوانةٍ تبشر**
**بمولد .. الربيع ...)**[1]

في هذا الجزء الافتتاحي من النص نلاحظ الانشغال والحضور المبكر للوطن في وجدان الشاعر، وتواصله الفكري مع انتاج المبدعين والشعراء العرب خارج حدود الجغرافيا الوطنية، ومشاركتهم القضايا الأدبية والقومية كافة، بروح مفعمة بالانحياز لكل تلك المباديء الوحدوية والثورية، والقيم الإنسانية المشتركة. وقد تفاوتت مناجاته للوطن بين زفرات الوجع والأنين والألم، والانصهار في صورة المبشر

1- مجلة "كل الفنون" الصادرة عن المؤسسة العامة للصحافة، العدد (22)، بتاريخ 10 مايو 1975، ص 47

بالخلاص والحلم الربيعي الذي يتمناه الشاعر، منذ ذاك الزمن البعيد، لوطنه.

أما نصه المعنون (الأسئلة النوافذ) الذي خلا كلياً من التصريح بأي شكل من أشكال الأسئلة المباشرة عكس ما يوحي به عنوانه الدلالي المخاتل، وهو منشور بالمجلة نفسها، فيقول في مستهله:

**(وصلتُ...**

**سرقتُ كلَّ ما في جراب قافلة الغرباء من أغاني**

**نحرتُ إبلَهم النائمةَ في غفلةٍ من القمر ..**

**ورجعتُ للعشيرةِ المسهدةِ العيون ..**

**ألوكُ ما قالته الأساطيرُ في أبوابِ: الغزو .. الفتك .. التراجع)**[1]

لقد أجاد الشاعر في افتتاحية نصه رسم بانوراما شعرية تداخلت عناصرها الفنية بين التراث العربي القديم المتأسس على مكونات وطقوس العشيرة، وربطها بحالة الوطن الحديث ومعاناته الراهنة، وهو من خلال ذلك، وبين الزمنين، ينسج بصوت الراوي نصه الشعري بكل إتقان وعذوبة، وتشويق يتواصل حتى تتكامل لوحته لتبرز وجهاً حقيقياً لما يختلج في أعماقه النقية.

وعند التمعن في هذين النصين الشعريين من بواكير ابداعات الأستاذ محمود البوسيفي الشعرية نكتشف جمالية وعمق ووضوح اللغة وموسيقاها الزاخرة بالإيقاعات القادرة على استيطان نفس ووجدان المتلقي والتفاعل معه فكرياً. واللغة هي بلا شك (.. الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، هي أول شيء يصادفنا، وهي النافذة التي من خلالها نطل ومن خلالها نتنسم. وهي

---

1- مجلة "كل الفنون" الصادرة عن المؤسسة العامة للصحافة، العدد (27)، بتاريخ 10 أكتوبر 1975، ص 51

المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق، وقد عرف الإنسان العالم، أو حاول أن يعرفه لأول مرة، يوم عرف اللغة»[1](4).

وإضافة إلى جمالية المفردة والعبارة اللغوية فإن تأثيث الصورة الشعرية في كامل النص عند شاعرنا البوسيفي جاء ثرياً بالعديد من الاقتباسات والأخيلة والصور البلاغية التي تنسج وتشكل مجتمعة رسالته بكل اقتدار وجمالية تتوحد فيها الموسيقى مع المضمون والبلاغة بكل أبعادها.

وما أحوج مدونة الشعر الليبي، والشاعر نفسه، إلى تجميع كل أشعار وإبداعات البواكير السابقة وتوفيرها للمهتمين والنقاد والدارسين حتى تستكمل القراءة النقدية وتستخلص مؤشرات تطور النص الشعري في صورتها الفنية الشاملة.

## (4)

تبرز شاعرية المجموعة الأولى (لعلها شجرة بغيدة) للصحفي الكبير الأستاذ محمود البوسيفي بداية من واجهة لوحة غلافها التشكيلية التي صممها بنفسه ليؤكد ملكته ومهارته في الرسم والتصميم الفني، واختار مكوناتها البسيطة المتمثلة في فضاءها الصحراوي المفتوح الشاسع، تحكيه سيوف الكثبان الرملية وتموجات لونها الترابي المتباينة، ورجل حافي القدمين، يرتدي البياض، يمشي وحيداً بلا متاع، يزرع خطواته على الرمال الساخنة الملتهبة، تاركاً آثار قدميه الحافيتين خلفه شاهدة على رحلته، وهو يمضي.. بعيداً

1- الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. إسماعيل عزالدين، دار العودة، بيروت، ط2، ص173

.. بلا اتجاه معين وكأنه ينشد أحلاماً لعلها تكون.. شجرةً بعيدة.. يبحث عنها .. فيجدها ذات زمن .. في مكان ما.. وسط الصحراء أو وراءها. بعد ذلك يأتي إهداء الشاعر الذي اختار أن يوزعه على والديه (**إلى أبي مرةً أخرى ... إلى أمي دائماً**) .. ثم يطالعنا اقتباسه بيتٍ من أبيات الشاعر محي الدين بن عربي:

**وما عليّ إذا ما قلتُ مُعتقدِي    دعِ الجهولَ يظنُ الحقَ عدوانَـا**

وفي هذا الاقتباس إشارة قوية إلى متانة علاقته الروحانية والفكرية المرتبطة بأحد أكبر شيوح الطريقة الصوفية، الذي يتقاسم معه الكثير من المشترك المتعلق بتأمل جماليات الأشياء، وأهمية الخيال الخلاق للوصول إلى الحقيقة المطلقة وفهمها، وغيرها من الآراء الفلسفية المستيرة. ومن هنا ندرك أن الشاعر الفيلسوف الصوفي ابن عربي كان أحد الروافد الأساسية التي ارتوى شاعرنا محمود البوسيفي من أفكاره، ونهل من ينابيعه الصوفية، وتعمق في فلسفته، عند تحليل الماديات وفهم الروحانيات للوصول إلى بعض اليقين.

وظهرت فيوض الألق في نصوص محمود البوسيفي متجلية في صناعة مفرداتها القادرة والمتمكنة من الغوص والتوغل في الوجدان والفكر بكل انسيابية، والتي لا يملك المتلقي إزاءها إلا معانقتها والارتماء في أحضانها بكل رغبة ولهفة وإنتشاء. وإن تميزت كل النصوص بقلة عدد سطورها وتركيبتها البنيوية البسيطة على غرار قصائد «الهايكو» اليابانية أو «الومضة»، فهي زاخرة بكل شيء جميل وصادق، بداية من المعنى الدلالي العميق الذي نقشته المفردة المنتقاة بكل عناية واللغة المكثفة إجمالاً، إلى الجرس الموسيقي الرنان الظاهر والخافت، وإن غلب عليه أنين الشاعر وشجن مواجعه المتوارية خلف

دفقات قلبه الياسميني الباسمة وقناديل فكره المستنير.

**(الناسُ الذين كنتُ أعرفُهم**

**صارتْ ملامحُهم بمذاقِ الغيابْ ..**

**أخشى حين ألتقيهم أنْ أعبرَ**

**طريقَهم في عجلةٍ ..**

**ولاَ ألتفتْ ..)**[1]

تظهر هنا سيولُ الدموع اللامرئية غزيرةً جداً، ومريرةً قاسيةً بكل جراحاتها المتهاطلة من أنين البوح بآلام القلق والخوف على فقدان الرفاق والخلان والأصدقاء والزملاء والمعارف والأحبة .. الذين شملهم وجمعهم في مفردة «**الناس**».. حتى وإن لم يؤكد شاعرنا أو يحزم أمره بعد تجاه أولئك «**الناس**»، بل ترك باب الزمن مفتوحاً مثل أبوابه المشرعة بالمحبة، حين انتقى كلمة «**أخشى**» وهي فعل غير حاسم ونهائي صارم، فجاءت الصورة الشعرية في هذا النص القصير مكتظة بكل آهات الوجع والمعاناة التي سجلتها السطور الحزينة بنفس مضطربة، تتصاعد أناتها وعذاباتها مع كل شهقة للروح الشاعرة، وفي نفس الوقت تُبقي على بعض الأمل المفعم بالبهجة، لأن روح الشاعر تدخر دائماً شموس النور وبذور الخير في شرايينه وأعماقه، وتحتفظ بكل أحلامه وأمنياته الوارفة من أجل الأصدقاء وأطفال وأشجار بلاده، وكذلك من أجل الإنسان نفسه كقيمة ذاتية.

أما في نصه «أشرعة» المتكون من أربعة مقاطع قصيرة يهديها إلى صديقه الشاعر الراحل جيلاني طريبشان فإننا نجده يختصر كل الكلام البليغ والوصف البديع حين يسرد لنا المقطع الثاني حكايةً منقولةً في ثلاثة سطور قصيرة، يرويها كالتالي:

---

1- لعلها شجرة بعيدة، ص 56

(ويُحكى ..

أنَّ الصقيعَ داهمَ الشاعر

فسَالتْ الأودية ..)[1]

وهنا نراه يترك للمتلقي التأمل والتدبر والتفكير في ماهية «الأودية» و«الصقيع» وعلاقتهما بالشاعر مبدع النص أو الشاعر المهدى إليه، ودلالتهما وأبعادهما، رغبة منه في إشراك المتلقي وإقحامه داخل نصه، وتدوير محركات عقله للإبحار في عوالمه الغيبية التي تظل خارج إطار نصه الشعري المكتوب ولكنها أساس بنيويته الإبداعية وتخلقه الفني.

ولم يشأ شاعرنا البوسيفي أن يجعل خاتمة نصه اعتيادية أو تقليدية بل اختارها للحديث عن الأنثى، أياً كانت إنساناً معيناً أو طيفاً أو رمزاً مطلقاً، واسترجاع ذكرياته عند نقل مشاعر قلبه تجاهها. وهذا الانقلاب ليس غريباً عند عشاق الشاعر ابن عربي وفلسفته الصوفية المتأسسة على مقولته (كل شيء لا يؤنث لا يعول عليه) لذلك جعل شاعرنا نهاية نصه مزدانةً بإطلالة أنثوية أضفت عليه الكثير من البلاغة الدالة على البراعة والتمكن من اللغة وإظهارها لفظياً وحسيّاً بشكل جذاب وآسر:

(رويتُ لها حكاياتٍ كثيرةً

وأعترفُ الآن أنني لا أذكرُ

سوى أنني كنتُ أقولُ لها

متلعثماً في فصاحةٍ ..

أُحبُّك)[2]

---

1- المصدر السابق، ص 17

2-المصدر السابق، ص 19

ولم تغب الحكاية الشعرية عن (لعلها شجرة بعيدة) حيث جاء نص (الأسياد) محاكاة شعرية لقصة قصيرة مكتملة الأركان والعناصر بإيقاع موسيقي مرهف متواري خلف الكلمات التي تراقصت مع محيطها بكل عذوبتها السردية البليغة:

**(في ركنِ الممرِ الأنيق**
**يرتعشُ قنديلٌ كهربائي**
**من خامةِ الزنك ..**
**قال الصبي أمام المصعد**
**إنَّ الضوءَ يلعب ..**
**ولم يقلْ أحدٌ من الواقفين**
**أمامَ البابِ المغلقِ شيئاً ..**
**رغم أنه لم يكن أمام**
**المصعدِ أحدٌ غيري ..)**[1]

أما قصيدته (إجهاشة) فقد مثلت دعوات ونداءات رقيقة ومعبرة نثرها الشاعر في فضاء إلهامه، مناجياً بها طيف خياله الذي تعددت أوصافه داخل النص الشعري فكان «شقيقة الروح» و«سيدة العناصر» و«اليمامة» و«جميلة الجميلات» و«آخر الجولات» و«أول الأحلام»، وقد احتوت تلك المناجاة مراوغة لغوية زاخرة بالموسيقى وبلاغة طباق الصورة الجمالية الخلابة:

**(تعالي ندغدغُ الوُعُولَ واليرابيع**
**ونحنُ نصنعُ الشِراكَ للوعولِ**
**واليرابيع)**[2]

1- المصدر السابق، ص 8
2-المصدر السابق، ص 28

وداخل متنها حملت مجموعة (لعلها شجرة بعيدة) كتاباً مميزاً هو «كتاب الغربة» متضمناً إحدى عشر نصاً، اكتظت جميعها بزفرات وبوح مكثف موجع. كلماتٌ قصيرة مبللة بالدمع الخفي الصامت وغارقة في الكآبة والحزن القاتم، اختصرت العديد من التجارب والمعاناة، وكُتبت بأنياط قلبٍ ممزق تتقاذفه أحاسيس المواجع والأشـواق. تفاوتت تركيبات مفرداتها اللغوية وكلماتها وعباراتها القصيرة فجاءت بليغة حد الحكمة الموجزة المبهرة التي طرزتها صور شعرية متكاملة، منها:

**(الغربة .. أن تقترب وأنت البعيد .. أن تبتعد وأنت القريب)**

**(الغربة .. أن تبتكر حديقة دون عطر ..)**

**(الغربة .. تغوّل الحنين ..)**

**(الغربة .. أن تدفن حياً .. يومياً)**

**(الغربة .. غريق يستغيثُ بغيمة ..)**

**(الغربة .. استنطاقُ للوجع ..)** 74

**(الغربة .. كأن تدعو جثة للرقص ..)**[1]

أمـا عنوان المجموعة الشعرية (لعلها شجرة بعيدة) فقد جاء مقتبساً من إحدى قصائدها التي اختارها الشاعر علماً وعنواناً للمجموعة بأسرها، وحتى إن صار هذا السياق أمراً مألوفاً في عنونة المجموعات الشعرية الصادرة حديثاً، فلابد من التوقف عنده وتأمل ذاك العنوان الواجهة كعتبة نصيّةٍ مميزة تطوي كل القصائد الأخرى، لأن معظم العناوين والاقتباسات التي يختارها المبدعون لا تكون عفوية غالباً، بل تنطوي على علامات صريحة ومستترة، حول طبيعة تلك النصوص، وقصتها ورسائلها المحتملة، باعتبارها مدخلاً للولوج إلى

1-المصدر السابق، ص 58 - 94

أعماق المجموعة كلها وسبر أغوارها، وإشارة معينة من الشاعر إلى المتلقي تتطلب التمعن في فحواها وتفكيكها لمحاولة اكتشاف تميزها وسر تخصيصها، والبحث عن مفاتيح علاقتها الخاصة بالشاعر:

(لا شيء لكِ بحوزتي ..
سواكِ ..ونهرٍ من حنينْ
لا شيء سوى جنينِ حزنٍ
يكبرُ في كُلِّ حينْ
لا شيء تقريباً سوى بحرٍ وسماءْ ..
وسرب قطا يلاحق
غيمةً بيضاءْ ..
لا شيء في محيطِ الخاطرِ
لا شيء لك بحوزتي
سوى الطينِ يتشكلُ كائناتٍ مرحة
تركضُ حيثَ لا حيثُ ..)[1][(11)]

## (5)

إذا كان النص الشعري هو كتابة زمن لا يمكن فصله عن المكان فإن (لعلها شجرةٌ بعيدة) للشاعر محمود البوسيفي جعلت المكان والزمان فضائين ملتحمين ومفتوحين تتماهى فيهما كل الأمكنة والأزمنة بلا تحديد أو إعلان، فظهرت كل النصوص بلا تاريخ ولا مكان توثيقي، مما يمنحها امتداداً أفقياً بعيداً، وحياة زمنية طويلة تتجاوز أزمنة الماضي

1- المصدر السابق، ص 95

والحاضر. أما على صعيد استقرار واستيطان فكرته الشعرية ورؤيته البلاغية في أعماق ووجدان المتلقي فقد ضمنت لغة البوسيفي الثرية ذلك، وتجاوزت بعيداً مقولة الفيلسوف الصوفي محمد عبدالجبار النفري الشهيرة (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة) لأن البوسيفي أجاد بكل دقة وإتقان تطويع لغته وعباراته الشعرية الثرية المنقوشة بكل احترافية لكي تتسع مساحات فضاءاتها وقواميسها لنقل فيوض مشاعره وأحاسيسه ورؤاه وأفكاره ونسج صوره البلاغية للتعبير عن معاناته الماضوية والآنية وأحلامه البسيطة.

ولذلك فإنه عند التفكير بمطالعة نصوص الأستاذ محمود البوسيفي الشعرية في مجموعته الأولى (لعلها شجرةٌ بعيدة) يستوجب علينا أن نتهيأ جيداً قبل بدء رحلة القراءة العاشقة، لأننا سنكون أمام نصوص تستدرجنا بسلاسة إلى عوالم اللغة والفلسفة والوفاء والصورة الشعرية الجميلة المستوطنة بأعماق النفس البشرية منذ أن صار الشعرُ زُلالاً حسيّاً له حضوره البهي وطقوسه النبيلة. إضافة إلى ذلك لابد أن نعي جيداً بأن البوسيفي لا يستعمل الكلمات وحدها في صياغة نصه الشعري، بل يهبنا بها ومن خلال نقوشها المطرزة الجميلة، دفقات وجدانية نقية من أعماقه، يعزفها قلبه النابض بالمحبة وترويها دموع صباحاته ولياليه المتعاقبة، فتفوح منها دائماً رياحين الحناء والياسمين والورود وتعبق بعبير النفس البشرية التواقة للبهاء والارتقاء إلى فضاءات تعيد فيها اكتشاف ذاتها وكينونتها.

لقد كان شاعرنا محمود البوسيفي بارعاً بأسلوبه اللغوي الجميل في صياغة وتكوين صور ومناخات وإيقاعات مبتكرة بمفرداته العميقة المضمون والبسيطة التركيب، ومن هنا تتأسس وتكمن بنيوية اللغة الشعرية الحقيقية المتفردة التي يطوعها الشاعر لكي تتجاوز ألفاظها

ومفرداتها نسقها التعبيري التقليدي الاعتيادي في الرمز والدلالة، ويضيف إليها الكثير من العذوبة والإثارة والدهشة لتكتسب خصائص إضافية تجعلها تتفوق على ذاتها ومدلولها الكلاسيكي، في خلق مناخ شعري مبهرٍ، يفاجيءُ الشاعر نفسه والمتلقي كذلك، ويصل إلى مرتبة أحسن الكلام التي عبّر عنها أبوحيّان التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة بقوله (أحسن الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم).

إن كل هذا يجعلني أؤمن بأن محمود البوسيفي في (لعلها شجرةٌ بعيدة) قد سجل تواصلاً زمنياً مترابطاً وتطوراً جلياً مع نصه الشعري طوال مسيرته الإبداعية التي انطلقت منذ سبعينيات القرن الماضي، وكان فيها منسجماً ومتوحداً بكيانه الإنساني والفكري مع ذاته الشعرية المبدعة المرهفة، وعلى درجة عالية من الوضوح والسمو والشفافية، حد العُريّ، وهي مرتبة لا ينالها إلا الصادقون في أعمالهم .. وما أندرهم في هذا الزمن !!



# 10 الشاعر محمود عبدالمجيد المنتصر

شاعرٌ ليبيٌّ

# منتصرٌ في اليمن

في ثلاثينيات القرن الماضي التحق مواطن ليبي ببعثة إيطالية متخصصة في النشاط الصحي والطبي تعمل باليمن وظل يشتغل معها هناك متنقلاً بين عدة مدن لمدة عقد كامل من الزمن حتى غادرها عائداً إلى موطنه ليبيا في منتصف الأربعينيات، وخلال تلك الفترة كتب ونشر عدداً من نصوصه الشعرية التي ظلت بكل أسف مجهولة كلياً وغائبة عن مدونة الشعر الليبي، ولم تنشر إلاّ مؤخراً خلال سنة 2013 حين أصدر نجله الديوان الوحيد لوالده الراحل تحت عنوان تقليدي صريح باسم (ديوان شعر)[1][(1)].

ولقد وفر هذا الديوان نبذة يسيرة عن صاحبه الشاعر محمود عبدالمجيد المنتصر الذي ولد سنة 1915 بمدينة مصراته وتعلم في مدارسها الحكومية العربية والإيطالية، وأتقن اللغتين الإيطالية والانجليزية إضافة إلى اللغة العربية الأمر الذي مكنه من الانضمام للعمل مع بعثة إيطالية تهتم بالمجالات الصحية وسافر معها سنة 1935 إلى اليمن التي كانت تعرف آنذاك بالمملكة المتوكلية اليمنية وظل مقيماً هناك لمدة عشرة سنوات، يعمل بها وينظم وينشر بعض قصائده الشعرية في عددٍ من الصحف الصادرة بها.

وعندما عاد الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر سنة 1945 إلى أرض الوطن ليبيا اشتغل مع الإدارة البريطانية في طرابلس ومصراته

1- ديوان شعر، محمود عبدالمجيد المنتصر، بلا د.ن، بلا ط.، بلا ت.

حتى نالت ليبيا استقلالها سنة 1951، وهو يعد من جيل الرواد الذين أسهموا في بناء وتكوين الجهاز الإداري للدولة الليبية الناشئة حديثاً آنذاك، حيث عمل متصرفاً في عدة مدن من بينها زليطن وترهونة وغريان وناحية سوق الجمعة بمدينة طرابلس، ثم نقل سنة 1956 إلى إدارة الاملاك الليبية، وتقلد بعدها مناصب عديدة في نظارة المواصلات بولاية طرابلس الغرب، ثم نظارة الصحة، كما تولى منصب وكيل وزارة الصحة ثم وكيل وزارة الدولة للشئون البرلمانية في دولة الاستقلال وظل يمارس مهام عمله حتى أحيل إلى التقاعد عقب سبتمبر 1969 حتى وافاه الأجل في شهر أغسطس 1973.

**المنتصر الشاعر:**

لم تتضمن مصادر التوثيق الأدبية والشعرية الوطنية الليبية أية إشارة أو ذكر للشاعر محمود عبدالمجيد المنتصر كأحد الشعراء الليبيين رغم نشره بعض قصائده في الصحف الليبية أهمها «جريدة طرابلس الغرب» وكذلك المجلات العربية مثل مجلة «فتاة الجزيرة» و«مجلة المرأة» على وجه التحديد بمدينتي «تعز» و«عدن» في اليمن. ويبدو أن سبب عدم معرفة هذا الشاعر الراحل يرجع إلى عدم صدور أي ديوان أو دراسات تتناول قصائده الشعرية، أو كما يقول ابنه معللاً في مقدمة الديوان ( .. **ربما يكون السبب وفاته في سن مبكرة نسبياً سنة 1973 عن سن تناهز الثامنة والخمسين عاماً) موضحاً (كتب والدي معظم أشعاره في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي أثناء إقامته في اليمن، وبعد رجوعه إلى أرض الوطن في منتصف أربعينيات القرن الماضي، انهمك في العمل السياسي الإداري وبناء دولة ليبيا. وفي الحقيقية لم أعلم بغزارة الإنتاج الشعري لوالدي إلا بعد وفاته حيث وجدت قصائده بين مختلف الأوراق والوثائق التي تركها، وكان**

كثير من المهتمين من الوسط الأدبي يحدثونني عن أشعاره حينما كنت ألقاهم وأتعرف عليهم، بعضهم أعطاني بعض الجرائد والمجلات القديمة التي كانت تنشر قصائده)[1].

وعن ظروف وأسباب تجميعه لنصوص والده الراحل ونشرها في هذا الديوان يقول الدكتور خالد المنتصر (كان كثير من أصدقاء والدي وبعض الأقارب يحثونني على تجميع ونشر قصائده، كذلك يجب التنويه إلى صديق اسكتلندي الجنسية معروف بإنتاجه الأدبي اسمه يان جولبرايث Iain Galbraith يعيش بمدينة فيسبادن بالمانيا وآخر انتاج أدبي له في سنة 2012 كتاب عنوانه Beredter Norden حيث ترجم فيه أكثر من 300 قصيدة من الشعر الاسكتلندي إلى اللغة الألمانية. أثناء زيارتي السنوية لألمانيا كنت أزور يان ونتحدث في الأدب العالمي وكنت أحياناً أترجم له بعض البيانات من قصائد والدي التي كنت أحفظها، ورغم أنه لا يتكلم العربية إلا أنه كان من أكثر من يحثونني ويشجعونني على هذا العمل.)[2]

ويواصل قائلاً (رسخت الفكرة في ذهني إلا أنه قابلتني بعض المصاعب، أولها الجو السياسي العام في ليبيا أثناء حكم القذافي، فنشر أي إنتاج أدبي لا يتم إلا بموافقة أمنية، وعن طريق دار نشر تابعة للنظام وخفت أن يستغل الإنتاج في الدعاية إلى ما يسمى في ذلك الوقت بثورة الفاتح. العقبة الثانية هي طباعة القصائد المكتوبة بخط اليد قبل أكثر من سبعين سنة، فانا منذ مرحلة دراستي الثانوية قبل أكثر من أربعين عاماً لم استعمل إلا اللغتين الالمانية والانجليزية في مجال تخصصي الطبي، وكنتُ أخاف أن أرتكب بعض الأخطاء النحوية أثناء نقل المكتوب

---

1- المصدر نفسه، ص 3

2- المصدر نفسه ،ص 3

باليد إلى المطبوع، ولحسن الحظ تعرفت عن طريق ابني (الصديق) على أديب شاب هو الأستاذ محمد النعاس الذي أبدى استعداده وأنهى المهمة على أحسن ما يرام وله جزيل الشكر على ذلك.)[1]

الشاعر والشعر:

تضمن الديوان الصادر بعنوان (ديوان شعر) للشاعر الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر خاطرة كتبها تحت عنوان (أنا والشعر) تبيّن علاقته بهذا الجنس الإبداعي يقول فيها **(كثيراً ما كانت تتوق نفسي لقرض الشعر، ولكنني لم أوفق فيما مضى لأسباب كثيرة منها: المحيط وعدم وجود المشجع، والسبب الذي يوحى الشعر. ورغم هذا كنتُ واثقاً من قدرتي على نظم بعض الأبيات التي تتطور بالممارسة والشغف، دليلي على هذا إني قلتُ قبل ثمان سنوات أثنى عشرة بيتاً في حصاني الذي يبقى معي ذكره ما دمتُ حياً.) ويضيف موضحاً (الشعر هو كل شيء، فيه التعبير عن الضمير وبه ترتاح النفس الحرى، وإليه يميل اللبيبُ. الشعر هو أجمل ما في الحياة ولا يعرف الشعر إلا الشعراء، وهو أفصح معبر عن الوجدان، رحم الله من قال: أنتم الناس أيها الشعراء!)**[2].

ومن خلال توضيح الشاعر نفسه في هذه الخاطرة النثرية نكتشف مدى شغف الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر بالقريض وأسلوب نظمه الموحد في جميع قصائده المجمعة الذي أبرز فيها أغراضه الوجدانية وأسلوبه المنتمي إلى النظم العروضي الخليلي التقليدي، حيث لم تكن موجة التحديث الشعري المتمثلة في القصيدة العمودية أو قصيدة النثر في الشعر العربي قد انتشرت بعد خلال الثلاثينيات

---

1- المصدر نفسه، ص 4

2-المصدر نفسه، ص 5

والأربعينيات من القرن المنصرم.

وبالإضافة إلى تلك الخاطرة النثرية فقد عبر الشاعر عن تعريفه ومفهومه للشعر في قصيدته المنشورة بعنوان (الشعر) التي يستهلها بقوله:

الشعــرُ في فلكِ الإلهامِ تـــيارٌ أو نفحة في سماءِ الخلدِ معطارُ
أو زورةٌ زارها الشيطانُ صاحبَه يُوحِي اللهُ بما يهوىَ ويخــــتارُ[1](6)

ويواصل شاعرنا وصف الشعر وغاياته النبيلة في أبيات قصيدته قائلاً:

به التناجي لمنْ يشكُو صبابَتَه وَسَلِسٌ عذبُه تُطفَى به النّـــارُ
كأنه ذوبُ قلبِ عـزّ مطلــبُه والذوبُ من قلمِ المُشتاقِ أشعارُ
مَا كانَ نظماً ولا وزناً ولا قافيةً لكنّه الدمْــــعُ تجري بهِ أنهارُ
كأنّه البحرُ والتفكيرُ بحــــارٌ كأنه فائضٌ والمـوجُ زخّــارُ[2](7)

ومن خلال هذه الأبيات الجميلة والعميقة الدلالة نكتشف أن الشاعر يذهب بعيداً في مفهومه للشعر يتعدى الإطار الشكلي والبناء الكلاسيكي للقصيدة بأوزانها وقوافيها ليكون الشعر لديه هو «ذوب قلب» و«دمع أنهار» و«بحر» وهذه كلها إشارات توحي باهتمام الشاعر بالحس الوجداني للقصيدة الشعرية وأهداف رسالتها إلى المتلقي.

وقد ضم هذا الإصدار (ديوان شعر) تجميعاً لقصائد الشاعر المتوفرة بعد رحيله بلغ عددها (46) ستة وأربعين قصيدة جاءت على النحو التالي: أول أبيات قلتها بتعز اليمن، البديع، إلى عامر، ما قالته سليمة، أرى كثر أشواقي تزيد عن الصبر، يا أيها القمر المنير،

1- المصدر نفسه، ص 66
2- المصدر نفسه، ص 66

ورد الرسول مع الأصيل، ما أجمل العيش والأوطان تجمعنا، مناجاة الطير، يا غادة الصحراء، وبتنا وقد ضمنا مطرف، إلى عبد الرقيب، ديارُ حبي في قربٍ ولم أنم، أنا، الغصن المشون، رمضان، من للكميت اليوم بعد أفوله، الحنين إلى ميمون، بين ورد لثم خد طاب لي، عنادل الروض، عم السرور، القلب يخفق والمحاجر تدمع، يا من أعيش، نوائح أيكٍ، إلى ما وراء البحار، وحي العيد، القلب المذبوح، تطوى الليالي، فلا تعذلوني، رمى النسيم، أنسيت؟، هوّن الخطب كل خطب جديد، تمرّد، دمعة، بين الضلوع، الفقير، الشعر، تحية العيد، العداوة، السعادة، ذكرى، العبيدي، فلسطين، إلى روح الرصافي، حيرة. إضافة إلى قصيدة مرسلة إليه من الشاعر اللبناني سليم الحوراني ينقل فيها إعجابه بإحدى قصائد شاعرنا المنشورة بصحيفة «طرابلس الغرب».

**الملامح الشعرية لقصائد الشاعر المنتصر:**

كل القصائد المنشورة بهذا الديوان تنتمي بجدارة إلى عصرها الثلاثيني والأربعيني حيث جاءت عروضية تقليدية خليلية، أما عناوينها فكانت طويلةً ونمطية كلاسيكيةً، وأبياتها متعددة الأوزان ومتنوعة القوافي وهو ما يبرز تنوع الإيقاع الشعري والحس الموسيقي لدى الشاعر. كما نلاحظ أن بعض تلك العناوين قد ظل غامضاً، غلب عليه الشأن الشخصي الذي لا يمكن التعرف عليه في غياب الشاعر نفسه كالإهداء الوحيد للروح الطاهرة عبدالمجيد رحمه الله في قصيدته (من للكميت اليوم بعد أفوله) وأسماء الشخصيات الواردة بواجهة عناوين بعض قصائده مثل (إلى عامر) و(ما قالته سليمة) و(الحنين إلى ميمون) وغيرها، فكيف لنا أن نعرف من هو (عامر)؟ ومن هي (سليمة)؟ ومن هو (ميمون)؟ طالما أن الشاعر لم

يترك لنا أثراً لأية معلومات حول تلك الشخصيات ومستوى علاقاته معهم؟

وإن التزم شاعرنا في جميع قصائده النظم التقليدي الخليلي فإن نمط التجديد في شكل البناء الشعري قد ظهر في خماسياته الشعرية (مناجاة الطير) ورباعياته (إلى ما وراء البحار) وثلاثياته (تمرد) في تقليد واضح للموشح الأندلسي، أما من حيث الغرض والموضوع في شعر الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر فقد غلب عليه التعبير الشخصي الوجداني ومحاورة الذات وشجونها، والتواصل مع الأصدقاء، والشوق إلى الربوع والأهل وإن لم يكن ذلك بوحاً صريحاً مباشراً، كما نجد الشاعر يتماهى في إحدى قصائده مع الطير ليشاركه بث مشاعره وأحاسيسه على لسانه في حوار شعري تميز بالتنوع الإيقاعي وسعة الخيال الخلاب ورحابته. كما ظل طيف المرأة، ووجه القمر، والأوطان، ومعاناة الغربة، والبين، والفراق، والتذكر والحنين، وتوثيق ذكرى حلول شهر رمضان المبارك والعيدين والمناسبات الدينية الأخرى كالمولد النبوي الشريف هي أبرز الصور الشعرية والأغراض التي تناولها الشاعر في قصائد ديوانه، وفي كامل الديوان لم نلحظ انشغال شاعرنا بالشأن القومي العربي عدا قصيدته اليتيمة (فلسطين) المنشورة بجريدة طرابلس الغرب عام 1948 أو متابعته للشعراء العرب من خلال قصيدته (إلى روح الرصافي).

وعند البحث عن صور وأنماط ورموز الهوية الليبية في قصائد الشاعر محمود عبدالمجيد المنتصر فإننا لا نعثر على أثر بيّن أو ظهور غزير لها، بل يمكن القول أنها غابت تماماً وخلت منها جلّ قصائده الشعرية، حيث لم نرصد في هذا الديوان أي ذكر للعادات والتقاليد الليبية أو شخصيات وطنية أو وصف منطقة جغرافية ليبية سوى

وادي «سوف الجين» في قصيدة (نوائحُ أيكٍ) أو «ذات الرمال» كناية عن مدينته مصراته في قصيدته (أولُ أبياتٍ قلتُها في تعز اليمن). وفي المقابل يبرز تأثره بالبيئة اليمنية في أشعاره بدرجة نسبية بداية من تضمينه أسماء المدن «تعز» و«عدن» في عناوين قصائده إلى التعرض لبعض الأحداث في متون أبياتها.

ومن حيث عمق النفس الشعري وطوله وفقاً لعدد أبيات قصائد الشاعر الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر نجد أن أطول قصيدتين قد تضمنتا واحداً وأربعين بيتاً وهما (الشعر) و(العبيدي)، أما أقصر نصوصه فجاءت في بيتين فقط تضمنها (ملحق) الديوان قالهما الشاعر المنتصر بمجلس الأمير بمدينة تعز بتاريخ 1941/8/17 في مدح السيد حسين الويسي، أما غير ذلك فقد غلبت عليها المتوسطات والتي تراوحت بين العشرة أبيات والثلاثين بيتاً.

وعلى صعيد مكان ولادة وكتابة القصائد فقد كانت اثنتان وعشروين قصيدة تعزّية أي نظمت بمدينة تعز اليمنية وهي (أول أبيات قلتها في تعز، البديع، إلى عامر، أرى كثر أشواقي تزيد عن الصبر، مناجاة الطير، وبتنا وقد ضمنا مطرف، إلى عبد الرقيب، أنا، الغصن المشون، من للكميت اليوم بعد أفوله، عمّ السرور، وحي العيد، القلب المذبوح، رمى النسيمُ، أنسيتَ؟، هوّن الخطب كل خطب جديد، تمرد، بين الضلوع، الفقير، العداوة)، وقصيدة واحدة عدنية هي (الحنين إلى ميمون)، أما بقية القصائد فلم يأتِ بالديوان أي ذكر لمكان كتابتها.

أما من ناحية التأريخ، فإن الشاعر لم يعتمد أو يستقر على كتابة تاريخ معين في قصائده، بل نراه تارة يدون التاريخ الميلادي وتارة أخرى التاريخ الهجري، ولكن إجمالاً فإن كل القصائد المدون تاريخها

والمنشورة بالديوان قد جاءت خلال الفترة من (5 ذي الحجة 1359 إلى 16 ذي الحجة 1362) بالنسبة للتاريخ الهجري، ومن (16 فبراير 1941 إلى 20 أغسطس 1948) بالنسبة للتاريخ الميلادي، وإن كانت بعض القصائد قد نشرت بلا تواريخ أو أماكن كتابتها فإن جميعها ظهرت في هذا الديوان بلا ترتيب زمني متسلسل حسب تواريخ كتابتها أو نشرها، وهو ما يوحي بانعدام المنهجية الفنية عند إعداد الديوان الذي خلا من الفهرس والهوامش وبيانات النشر المطلوبة، ولاشك أن هذا يقودنا أيضاً إلى التساؤل عن عناوين القصائد ومن وضعها واختارها ورتّب تسلسلها في الديوان، هل هو الشاعر الراحل نفسه، أم ابنه الذي أصدر الديوان بعد رحيله أم الأستاذ محمد النعاس الذي ساعده واستعان به في تجميعها ونشرها؟

**قصائد الشاعر المنشورة:**

تضمن (ديوان شعر) للراحل محمود عبدالمجيد المنتصر في أسفل بعض قصائده بيانات عن نشرها ولكنها جاءت غير وافية أو كاملة حيث اقتصرت على التاريخ سواء الهجري أو الميلادي وكذلك المطبوعة التي نشرت بها. وبقدر ما تمثله تلك البيانات من قيمة تأريخية وإضافة توثيقية إلا أنها للأسف كانت ناقصة حيث احتوت اسم المطبوعة فقط دون بقية بيانات النشر الأخرى مثل رقم العدد،، والسنة وغيرها. والقصائد الثلاثة الواردة بيانات نشرها كالتالي:

- قصيدة (ما أجمل العيش والأوطان تجمعنا)، ونشرت في (فتاة الجزيرة) عدد ربيع ثاني 1360 هـ.

- قصيدة (الحنين إلى ميمون)، ونشرت بفتاة الجزيرة، بتاريخ 14 ديسمبر 1941، عدن.

• قصيدة (إلى روح الرصافي)، ونشرت في طرابلس الغرب بالعدد الصادر بتاريخ 28 مايو 1945م

وعدا هذه المعلومات القليلة حول قصائد الشاعر محمود عبدالمجيد المنتصر المنشورة في الجرائد والمجلات لا نجد في الديوان إلا رسالة الشاعر اللبناني سليم الحوراني التي وجهها لشاعرنا الراحل بتاريخ 14 فبراير 1946 ويشير فيها إلى قصائده التي طالعها على جريدة طرابلس الغرب ويقول فيها (.. أتقدم إليكم بما أوحته إليّ قصائدُكم وأشعارُكم التي صدرت على صفحات جريدة «طرابلس الغرب» ..)[1].

**بعض أشعار المنتصر:**

حملت بعض قصائد المرحوم محمود عبدالمجيد المنتصر عدداً من المضامين والصور الشعرية الجميلة التي تبرز الكثير من جماليات نصه الشعري، وقد اخترت منها الآتي:

ففي قصيدته (أنا) يقول :

**(وإني لِحُور العين لستُ بعاشقٍ ... ولكن إلى عين الفضيلةِ أرغبُ**

**وأصبو إلى مجدي تقصر دونه ... عزائم قوم في النعيم تقلبوا)**

**(وما أنا مفزاع لخطبٍ أصبته ... ولستُ بحيران وعيشي منكبُ**

**صبورٌ على دهمِ الخطوب ولأنني ... أراها مقاييساً بهن أجربُ)**

**(فوالله لم أطلب ثراءً منعماً ... ولم أفتخر يوماً بمن كنتُ أنسبُ**

**ولكن رأيتُ العلمَ أفضلُ مقتنى ... به يشرف العبدُ الخصي ويعربُ)**[2]

وفي قصيدته (أول أبيات قلتها في تعز اليمن) يقول:

**إليك يختط وداً ... أسيرُ حسنَ الفِعَالِ**

1- المصدر نفسه، ص 88

2- المصدر نفسه، ص 26

وسوف ينشر ذكراً — بريع ذات الرمـــالِ
يضوع فيها دواماً — على حمر الليــالي[1]

وفي قصيدته (نوائحُ أيكٍ) يقول ةمستذكراً طفولته وأهله وموطنه:

أأنسى رياضـــاً هن مهد طفولتي — ومسرح أنسي والزمان زمانيـا
مغان لها يصبـــو الحزين صبابةً — وهن الأماني هل أنال الأمانيـا ؟
بلاد بها ألبســـتُ ثوب فتـــوتي — وألبست خلاني نقي ودادیـــا
معاهد ما للنفس عنها تصـــبّر — ولو كنتُ جثماناً رميماً وباليـا
ربوعك «سوف الجين» سلها لعلها — تناجي غريباً من بهن مناجيـا
تذكرني شموس الأصيل حبائــبي — وتبلغ أشواقي لمن لستُ ناسيا
نسيتُ فؤادي حين ودعت ربوعهم — وأنسبتُ لهوى يمنٍ تلك الروابيا
فيا منزل الأحباب كم كنت منزلي — وكم من ليالي ما لهن ليالـــيا[2]

وفي قصيدته (مناجاة الطير) يقول:

فمن يا طيرُ لي ولك إنّ ما بي الذي معك
فكــــلانا له شجـن
ذاب شـوقا إلى الوطن
إن تغـرد على فـــنن
فقريضـي مدى الزمـن
يشكو سقماً مع الوهن
ويحالي من أخبرك
فمن يا طيري لي ولك[3](12)

---

1- المصدر نفسه، ص 7
2-المصدر نفسه، ص 43
3 (12) المصدر نفسه، ص 18

وفي قصيدته (رمى النسيم) يقول:

تجتازُ في الأيام وهي تلومني عما جنيتُ بفرقتي وبعـــادي
ألام إن هاج التذكر مدامعي فأخضل بالدمع الحنين وسادي
ماذا على الحر الأبي إذا بكى بين الأحبة والزمان معـــادي
ماذا عليه وقد أذل دموعـــه ما إن تفيض دموعه بجـــواد
جالدتُ أحداث الزمان فأذعنت لكنني في الوجد ملّ جــلادي[1]

وفي قصيدته الاستفهامية (أنسيت؟) يقول:

نحن الأوائل والأواخر عـــزة وفتينا بين الكهـــول لبـــيبُ
وأنا المسود من فحول عزتي وأنا الذي في المكرمات نسيبُ
كن يا زمان كما تشاء فإنني يوم التنافرِ فارسٌ وخطـــيبُ
لي بين أجنحة الرجال مهابةٌ وأُصابُ من ذاتِ اللمى وأصيّبُ[2]

وفي قصيدته (دمعة) يقول:

أنت تبكي وسوف يأتيك يوم تبكي فيه وتخلو منك الطلولُ
أين أجدادنا الأوائـــلُ منا لو سئلنا أما ترانـــا نقـــولُ[3]

وفي قصيدته (بين الضلوع) يقول:

ما الموت إلا ساعة تجـــتازها ومن الذي من حوضه لا ينــقعُ
كذب الذي ظن المنية في الوغى إن المنية في الأسرة أفـــجع
ما العمر إلا جولة في جـــولة بي الصفوف لك الصفوف توسع
إني أحب الرجال رجـــــولة في النائبات لها صليل يســمعُ

---

1- المصدر نفسه، ص 52
2- المصدر نفسه، ص 55
3-المصدر نفسه، ص 59

ساءت ظنوني بالأنـــــام لأنني في كل يوم للفؤاد توجـعُ
من لي بمن يرد الحمام لموردي ومن الذي أشقى به يتجــرع
أنا من أنا وستعلمــون بأنـني من معشر تيجانهم لا تخلـعُ
وسيعلم الزمن النكور بأننــي هم العدى وفضائلي تتنـــوعُ
وكفى اللبيب من الحياة بأن يرى في العالمين له المحل الأرفعُ[1]

أما في قصيدته (الشعر) فيقول:

لولا القريض لأفنى الشعر أولـــنا لم يحي في عالم الأسفار «بشارُ»
ولا «ابن حجر» جرت في الكون وقفته ولا «جميل» له في الحب أخبـار
سموت يا شعرُ بالأرواح تنشرهــا على سماء بها للفن أنـــوار[2]

**خاتمة:**

إن عالم الراحل محمود عبدالمجيد النتصر الشعري مليء بالبساطة والتأمل والتذكر المتسم بعفوية النظم المحافظ على تقاليد القريض الكلاسيكية. وبقدر ما كان تجميع قصائده في هذا الديوان عملاً رائعاً ومجهوداً معتبراً لضم أشعاره لمدونة الشعر الليبي فإنني آمل أن يتولى الدارسون والنقاد والبحاث المتخصصون في الأدب والشعر والنقد التصدي لكل قصائده بمهنية ومنهجية تحليلية تغوص أبعد وأعمق من محاولتي في هذه القراءة والتي أعترف أنها جاءت إنطباعية بسيطة لم أتمكن فيها من الإحاطة بكثير من جوانب الشاعر الراحل محمود عبدالمجيد المنتصر الإبداعية وأغراضة العديدة المتنوعة كافة.

1- المصدر نفسه، ص 61
2- المصدر نفسه، ص 66

# الفهرس

تَحْتَ المجهر
كتابات حول نصوص شعرية ليبية

